

رواية

أفيزيا

حينما يسرد الموتى سيرة الأحياء

خالد زيدان

دار اكتب

أفيـزيـا

أفيزيا

خالد زيدان

الطبعة السابعة، القاهرة 2017م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد المصري

رقم الإيداع : 19929 / 2016

I.S.B.N: 978-977-488-467-4



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

أفيـزيا

رواية

خالد زيدان



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

أهدي أول رواياتي إلى أمي وأبي

وكل مَن علمني حرفًا فصرتُ له عبدًا.



أما بعد ...

قبل أن تشرع شفاك في تمتمة أول حروف الرواية، وتُحضر كوب القهوة فرنسية المذاق لأنك جوزائي فريد، ومزاجك رأسمالك، اعلم أنك تعني لي الكثير، وأنه لولاك، ولولا دعمك المتواصل لصارت " أفيزيا "

وكأن شيئًا لم يكن ..

المبدع و الملهم المخرج / محمد حسن



مصر 1650 ق.م

– إلامَ يُهرع هذا الجَمْعُ من الناس؟

– (مُهَرْوِلًا) يقول كبير الكهنة: إن الملك أصدر بيانًا مهمًّا سيُتلى على مرأى ومسمعٍ من أهل قِفْط[1] في حضرة قُدس الأقداس بمعبد الإله "مِين"

– (مُهَرْوِلًا) يا إلهي! أسندخل حتى قدس الأقداس؟!

– لهذا يسرع القوم.

– ليرحمنا الإله!

وفي مشهدٍ أسطوريٍّ – تحديدًا أمام قدس الأقداس تمثال الإله مِين (إله الخصوبة والنماء) – اجتمع أهل القرى من فلاحين وخَدم وعامة

1- قنا قديمًا

مرتديين النَّقْبَة القصيرة المصنوعة من الكتان تُزيِّنُ وجوهَهم تجاعيدُ الشقاء، وكذلك اجتمع كبار رجال الدولة على إِثْرِ ما نما إلى مسامعهم عن نص الملك، وقد حطت على وجوههم معالمُ الدهشة والقلق، فليس من الطبيعي عبورُهم أسوارَ المعبد والوصول لهذا القرب من التمثال. وها هو كبير الكهنة ذو النقبة الطويلة المصنوعة من جلد الفهد يستعد ليتلو البيان فيحل الصمت ليُرْفَعَ أذانُ البيان.

***

مصر 2009

طريق مصر- العين السخنة °18

3:30 صباحًا

- "سيف" كفاية زفت بقى. انت مش شايف نفسك بتكح ازاي؟

- لا، الكحة دي لا من السجاير ولا الحشيش

- أوه بجد؟! أمال من إيه إن شاء الله؟

- يا ستي كل الحكاية إني واخد دور برد في قلبة الجو دي.

- أه، فتفضل مولع في القطران اللي بتشربه ده طول الحفلة

- يوووه بقى يا "رؤى"

- سوري إني خايفة عليك وسوري إني بافصلك.

– لا يا ستي افصليني كما تشائين.

– اتريق اتريق.

– استني بس تعالي هنا انتي قولتي خايفة عليا؟!

– أيوه طبعًا يا حمار انت، لو مش هاخاف عليك أخاف على مين؟ انت عارف كويس إن ماليش حد غيرك. يا سيف أنا جدو كدبت عليه عشان أسافر مع سيادتك.

– قولتيله إيه صحيح؟

– سيبت له نوت عالتلاجة إننا **night shift** النهارده في الكول سنتر ورامي اللي بيبدل معايا واخد الـ **annual** بتاعه عشان بيتجوز. المفروض إني راجعة في الباص حضرتك.

– بيْعَلِّمْكُو الحوارات الكول سنتر دا. واحدة خريجة فنون جميلة عليها لِوَح وبورتريهات تِنَطَّق الحجر. أنا لو من جدك أتاجر فيكي. خليه يِفَضِّي كراكيب البدروم عند أي بتاع روبابيكيا ويفتحلك جاليري وأَبِيعْلِكْ أنا اللِّوَح دي لأمير خليجي بدل هدلة الكول سنتر.

– أنا بجد كارهة نفسي إني عملت كدا. إنت عارف دي كبيرة عندي قد إيه؟

– فقرة الدراما كوين.

- مضايقة إني طول عمري بانتقد البنات اللي بتكدب على أهاليهم تحت مُسَمَّى أنا مابعملش حاجة غلط وهما بيعملوا كل الغلط. إنت مش فاهم يعني إيــــــ..

- رؤى (قاطعني)! ستوب بقى كفاية، وماتساويش نفسك بيهم عشان لو انتي كدا ماكنتش كلمت جدو وخدت معاه معاد بكره. تفتكري هاخِفّ ولا هافضل أكح في وشه!

- إن شاء الله هاتـــــ.. (ثلاث ثوانٍ كي يعيد العقل إدراك مرادفات ما سمِعَ) إيه دا ثانية واحدة! قلت إيه؟!

- باقولك كلمت جدو (هامسًا برقته المعهودة)

- إنت بتهزر، صح؟

- لا ماهزرش.

لم يعطِني أية فرصة لاستيعاب الموقف، بل قَرَّر أن يقذف السعادة في قلبي دفعةً واحدةً.

- طبعًا عشان خيالك الضيق هتسأليني جِبْت الرقم منين؟ هاقولك، أما نزلتي دخلتي التويليت وأنا بَامَوِّن العربية فتحت شنتطك وطلعته. وأه صحيح، شوفتي اللي بعتهولك على تويتر امبارح، عجبك؟

- أه وشكله حلو، المهم ماتوّهش.

– إنتي ليه مش مقتنعة؟

– أنا مش مقتنعة غير إن كمية الحشيش اللي انت شاربه بتطلعه عليا.

– هاها طب افتحي الــ**log** على موبيلي شوفي آخر مكالمة ومدتها.

***

بكل ترقُّب وبِيَدَيْنِ مرتعشتَيْنِ حاولتا جاهدتَيْن الإمساك بمحموله الخاص، فإذا برقم جدّي يعتلي الـ log بمكالمة لمدة 11 دقيقة و59 ثانية، ليضرب قلبي بعدها بمعدل 1159 ضربة في الثانية، تَمَلَّكَنِي صمتٌ رهيبٌ صَاحَبَتْه دموعٌ ضاحكةٌ مستبشرةٌ بحياةٍ تولد الآن مع سيف الذي جذبني بيده اليمنى إلى حضنه (دون مقاومة هذه المرة) وباليسرى تَارَة القيادة، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى وجدتني أُدندن في حياءٍ لأول مرة..

– أنا بحبك أوي يا سيف.

بعد ابتسامة رأيتُها ولم أشعر بها، أردف قائلًا:

– عارفة يا رؤى أنا لو مش عارف ومش متأكد مليون في المية إنك غير أي واحدة ماكنتش قررت إني أخش القفص بإرادتي، ماكنتش قررت إني أبطل كل حاجة وأبدأ حياة جديدة نضيفة معاكي.

ماكنتش قررت إنك تبْقِي أم أولادي. ولا أي سبب مقنع غير إني بحبك! من الآخر كدا يا رؤى أنا فاهم حكمة ربنا. انتي امتحان يعوضني عن كل السقوط اللي فات، وأيوه أنا ناوي أعوض.

كلماتٌ شَحَنَ بها مدة بقائي بين ذراعيه لدقائق، وفجأة تذكرتُ..

– سيف اوعى تكون قلت لجدو إني معاك!

– طبعًا! وأنا حِوَارْتْجِي زيك؟

وأخرج لسانه كطفلٍ مُدلّل يستفز أمه..

– والله؟! طب اوعى بقى خسارة فيك الحضن أساسًا.

– يا مفترية. في آنسة رقيقة تعامل زوجها المستقبلي كدا؟

– عارفْ يا سيف، أنا مستكترة السعادة على نفسي.

– لا ماتستكتريش حاجة عشان الجاي كله سعادة في سعادة. سيبك بقى من كل دا، الكينج كان عالمي النهارده في الحفلة!

– ده العادي يعني. انت بتدور على إيه؟

– خمسة فكة عشان الكارته.

– استنى استنى معايا.

– سلامو عليكو القاهرة إن شاء الله.

– أنا خايفة اتأخر الـــ **shift** بيخلص **4** يعني المفروض ابقى في البيت **5**.

– طب الساعة **3:30** وطريق السخنة آخره ساعة ونص ومعايا هتبقى نص ساعة. في إيه بقى؟

– بعد إذنك ماتجريش، يعني وصلني في معادي بس ماتجريش.

– والله؟! ده زي اجري بس ماتسرعش!

أسندتُ رأسي على مسند الكرسي مُتَابعَةً هدوءَ الطريق وعيناي تُراقبان عداد السرعة حتى لا يتجاوز الــ120 كم \س بينما راحت أذني تنتشي بـــ "أنا باعشق الطريق لأنه في لقانا وفرحنا وشقانا" ليأخذني كعادته من شرودي:

– أكيد الكينج كان قصده على طريق السخنة، ساكتة ليه؟

– بافكر.

– في إيه؟

– بكره معاك هيبقى ازاي؟ (محملقةً بعينَيْه بعدما نَحَّيْتُ الخجلَ جانبًا)

انصبَّتْ كلماتُه عليَّ كلحنٍ خرجَ للتَّوِّ من بيانو عمر خيرت. سعادةٌ واطمئنانٌ تعكرا عندما مِلْتُ برأسي لليسار لأراه يشعل سيجارة ليست كبقية سجائر علبته وبثورةِ غضبٍ نشبَتْ داخلي:

– حشيش تاني يا سيف! إنت إيه؟ وكل الكلام دا في الهوا؟ إنت بجد بتفقدني الثقة فيك وفي كل كلامـــــ..

– اهدي بس واسمعيني.

– أسمع ايه بقى و أنيّل إيه انت مافيش فايدة منك!

– يا حبيبتي اسمعيني وبعد كدا اللي انتي عاوزاه. أولًا دا مش حشيش.

– يا سلام أمال ايه دا؟ إزازة مياه معدنية عاملة نفسها سيجارة؟

– لا ما هو القلش دا لو استمر أنا هاقلب العربية بينا.

– اتفضل برر!

***

قُلْتُها بعدما امتصَّ غضبي وجعلني أُنْصِتُ له كتلميذة في مراجعة ليلة الامتحان. ردَّ:

– دا مش حشيش دا "فُودُو"!

وراح يدخن أول أنفاسه..

– فودو؟!

– بصي هو اللي جربوه بيقولوا حاجة خرافية تلات أنفاس منه بيدوكي تذكرة رايح جاي 20 دقيقة في عالم مُوازي. انتي مش عارفة انا عملت إيه عشان أجيب السيجارة دي من "أفغاني" وبصراحة قلت مافيش أحلى من سيجارة فودو تبقى حفلة الوداع للدخان والسكة الشمال.

– تقوم مجربها وانت معايا وعلى طريق سفر! سيف وحياتي ارمي السيجارة دي!

– أرمي إيه بس دي بتمن صباع حشيش وبصراحة خُفْت أشربها في الحفلة أطلع أخطف المايك من منير.

لم أستطع تحمُّل الرائحة ففتحت النافذة التي بجواري، ليعترض هو مباشرةً

– لا لا، اقفلي الجُوبّ هيطير.

– هاتخنق من الدخان!

– يا فندم سعادتك تسندي راسك وأنا أفتح لحضرتك التكييف وأشغلك فيروز حبيبتك ودعينا نذهب سويا إلى حيث لا ندري.

– مالك؟

– هاها، لا ماتركزيش، باين مفعوله بدأ وطلب معايا بعربية فصحى.

– طب كفاية بقى وارمي الهباب ده عشان آخرته سودا.

– العرافة رؤى تتوقع نهاية دراماتكية لـــسيف شهيد الفودو، كما توقعت له ارتفاع أسهم جهينه في عزّ ما السهم نازل.

بمنتهى الثقة أجبت:

– عمري نزلتلك سهم في البورصة؟

– مانا مستغرب، انتي مخاوية يا بت؟

- مالكش فيه واطفي الزفت ده.

- آخر جُوبّ قُلنا.

اعتدلْتُ في جلستي محاولةً التناسي والاستمتاع منتشيةً بعبق رائحة برفيوم bavlgari الذي يستخدمه سيف، ويتفاعل سكوني مع صوت فيروز. أغمضتُ عينَيّ وهاجرتُ بشرودي لبلاد الخيال حيث غدٌ أفضلُ معه، ولا أحد سواه. وقررت الخروج عن صمتي لأُقِرَّ:

- إنت عارف إنك مجنون (لم أنتظر أي ردة فعل)، عمري ما فكرت إننا نتجوز عشان طول الوقت بتوَصَّلّي إن انت مش بتاع جواز أصلًا، ومع ذلك ماقدرتش أبطلك! استحملت كمان تحكماتك، أسلوبك، حياتك، علاقاتك، وحتى عطلك! السبب؟ إني.. بحبك يا سيف.

فتحتُ عينيّ كي أشاهِدَ ردة فعل ملامح وجه سيف بعد ثاني (بحبك)، فإذا بوجهه يسبح في العرق، وهبط مؤشر السرعة إلى **40** كم\س حتى تَنَحَّيْنَا إلى جانب الطريق. توقفتِ السيارة ونظرتُ له في استفهام..

- في ايه؟!

لم يُجِبْ، ولكن استجمع قواه لرفع يد الكرسي وتحريكه للوراء في زاوية منفرجة حتى قارب أن يلامس المقاعد الخلفية، وما إن سقطتْ سيجارته من بين أصابعه، حتى أقام القلق مستعمرةً في قلبي.

- سيف انت كويس؟

- كويس كويس ماتقلقيش (قالها بصوت متقطع).

- سيف أنا خايفة الطريق مقطوع وهادي أوي وانت شكلك تَعبان

تسارعت نبضات قلبي حال عدم استجابته، وتملّكني الأدرينالين في عشيةٍ وضحاها..

- سيف.. سيف.

راقبت عينَيْه المغلقتَيْنِ في صمتٍ، ثم همس..

- ميّه..، الميّه جنبك.

قالها كصنبورِ مياه صدئٍ يقطرُ آخر القطرات، فرفعتُ رأسه على ذراعي برفق، سقيتُه وبللتُ وجهه بينما يجاهد عينَيْه اللتين فُتِحَتا ببطءٍ ثم سألتُه بقلق:

- ها.. أحسن؟

- مش قادر أتنفس (كصوت متقطع قادمٍ من إنترنت سرعته 64 كيلوبايت) كل حاجة ماشية حواليا سلو موشن، بطيئة أوي.. زي مشهد نهاية فيلم.

***

– اهدا بس وماتتكلمش دا أكيد من الزفت ده!

ومرت دقائق قليلة، ويدي على قلبه، وأخرى على قلبي، وما بين نبضةٍ وأُخرى عمرٌ يتنازع مع صاحبه..

– سيف عشان خاطر ربنا ماتقلقنيش عليك.

وبينما أفقدُ الآن القدرة على التحكم في نفسي، أمسكَ بيدي بقسوةٍ وبعد تنهيدة استغرقتْهُ شهورًا وسنوات..

– ماتخافيش أنا كويس.. عشانك، عشان انتي النفس اللي بيطلع مني، وأستنى يرجع تاني عشان ترجعلى حياتي.. رؤى انتي.. الدنيا اللي كان نفسي أعيشها.

وها هي عينٌ أغلقت.

– سيف بس.. بس..

فتح عينَيْه عنوةً عندما رَوَيْتُ يدَيْه بأولى دمعاتي، وحرَّك يده كتحريك قطعة أثاث عتيقة وأزاح (كعادته التي توشك على الانقراض) خصلتي وراء أذني واستقر بثقله على كتفي وبشفتين مُرتجفتين:

– احضنيني..

رفعتُ جسده الذي كان ضعف وزنه وضممتُه إليّ بقلبٍ مرتجفٍ، وعقلٍ انتهت صلاحيته، وبأذنٍ تسمع همسًا..

– اعتـــــ.. ذري لجـــ..دك يا رؤى.. الميعاد.. ات.. اتكنسل.

وهكذا مات سيف.

***

بعد مرور شهر..

مرت ربع ساعة من الدقائق الخمس التي حددتها عاملة الاستقبال، وها أنا ملطوعة وحدي بالغرفة، يمتلكون حوائط بيضاء بلا نقشات وسقف لا بأس به. زفرتُ في ضيق ثم بصعوبة وقفت مُحَمِّلَةً جسدي على قدمي اليسرى استعدادًا للرحيل، ثم عدلتُ عن قراري لأهمية جلسة اليوم، فعدتُ أدراجي وعدّلتُ جلستي، ورحتُ أراقب محتويات الغرفة. إلى ظهري طاولة عليها مسجل ومايك. هناك كرسيان على كل جانب منها ليجلس المتحدثان وجهًا لوجه. في آخر الغرفة مرآةٌ مربعةُ الشكل، مكتبٌ خشبيٌّ أعلاه شهادة تخرجٍ بتقدير امتياز من كلية الآداب، قسم علم النفس، جامعة عين شمس، وأخرى لدورة تدريبية معتمدة من معهد السمع والكلام. في مُقابِله أجلس أنا على كرسي جلديٍّ مريح مغرٍ للنوم، فتصبح بانتظار مدلك محترف بفندق الفور سيزون! زفرة ضيق أخرى قطعها صوتُ صريرِ الباب،

إنه نجم الجيل هَلّ أخيرًا على المسرح، فهكذا التأخير هو عادة النجوم. دخل مسرعًا مبتسمًا ابتسامة "عذرًا للتأخير". اعتذارٌ قبلتُه بابتسامة، نعم صفراء، لكن ابتسامة.

كان يحمل ظرفًا كبيرًا. تَوَسَّطَ كرسيِّه، رفع نظارتَه وبدأ:

– بأعتذر يا رؤى عن التأخير.

"نزيه" اختصاصي تخاطُب، نستنج من تاريخ شهادة التخرج أنه أربعيني وبالضبط اممم... نعم أربع وأربعون. أكره الحساب بتفاضله، بجَبْرِه، بمثلثاته. شعرٌ أسودُ غزاه عدد من الشعر الأبيض على استحياء، حليق الذقن وله نظارة ذاتِ إطار أسود تتدلى حول عنقه، بَدَتْ عليه حكمة ذوي العقد الخامس كلما ارتداها.

– آمم مفيش.. آمم.. مفيش مشاكل.

– أخبارنا إيه النهارده؟

همم أخباري؟ ضاق بي الحال ضيق الفيزون الذي ترتديه "ميرفت" عاملة استقبال العيادة. أظْلَمَتِ الدُّنيا منذ رحيل سيف ظلمةَ الكون قبل أديسون. أخباري؟ مشوشة حيث أحاول أن أفهم القدر الذي لم ينتظر يومًا واحدًا فقط كي يدق حبيبي باب بيتي، ويربت جدي على يديه، ويشرح صدره بقوله: "يابني احنا بنشتري راجل". أخباري؟ ذنبٌ لن أسامحني عليه فقد كنتُ بجواره حينما كان يُحتضر، وتركته يشعل آخر أنفاسه. أخباري؟ أنانية مُطْلَقَة، ففي لحظة وفاة سيف،

توقف العقل عن الحركة وإرسال الإشارات، ورماني في أحضان دموعي وذنبي وطريقٍ سريعٍ. أمسكتُ بالهاتف ورحتُ أبحث عَمَّن أهاتفه. هل أتصل بجدي أشرح له أن سيف الذي حدثك منذ دقائق قد وافته المنية بالعين السخنة وأنا بين أحضانه؟! أم بأخيه ضابط المباحث لأَزُفَّ له خبر أخيه شهيد الفودو؟ هل سأصنف حينها كفاعلة خير أم متهمة؟ أفكارٌ دقت طبول عقلي. يجب أن أتخذ قرارًا فورًا، أي قرار، فقررت ألا أقرر، وهذا أفضل قرارٍ كان؛ لإرضاء صراع القلب والعقل. تذكرتُ أني لمحتُ بتابلوه سيف كارت النقيب/ ... أو شيئًا من هذا القبيل، وبالفعل وجدتُ الـكارت فأمسكتُ بهاتف سيف واتصلتُ بأخيه، وأنا لا أعلم مطلقًا ما سأفعل أو أقول، ومع كل رنَّةٍ لم أتمنَّ أن يرد، ورحتُ أُتَمْتِمُ: "يا رب مايردش..يا رب مايردش"، وفجأة "آلو.. آلو.. سيف سامعني؟".

وبينما بُحَّ صوتُه مناداةً لـسيف الذي لن يرد على أخيه هذه المرة، حملتني قدماي بصعوبةٍ خارج السيارة، خطوةٌ للأمام ونظرةٌ إلى سيف، نظرةٌ خرجت من عينَيْنِ دامعتَيْنِ: الأولى فراقًا والأخرى ذنبًا.

تلك هي أخباري لذا أجبتُ:

– الحمممد لله

– وأخبار الزّكّة إيه؟

– باتعوّد.

- لو سألتي دكتور العلاج الطبيعي هيقولك كلها كام شهر ونجري **sprint** . بصي يا ست الكل (يفتح الظرف ويخرج رسم صورة أشعة). عندك أفيزيا.

- آاااأفيزيا!

- أفيزيا تعبيرية، تقرير دكتور المخ والأعصاب ونتايج الأشعة بتاعتك بتشير لجلطة بسيطة في المخ، أثّرت للأسف بطريقة مباشرة على منطقة "بروكا" دي المنطقة اللي موجودة في الشّقِّ الأيسر من الدماغ، ومسؤولة عن اللغة وإنتاج الكلام. حصلك فيها اضطراب أفقدك القدرة النسبية على الكلام والتعبير، عشان كدا أفيزيا تعبيرية. حسب ما قولتيلي معظم أعراض الأفيزيا جاتلك تاني يوم الحادثة سواءً صداع رهيب أو تقل في الإيدين والرجلين، وعلى عكس حالات كتير لحُسن الحظ مفيش تقل أوي في اللسان. هنشتغل الفترة الجاية على الحروف اللي بتتكرر، ونحاول نرجع شوية مخارج الأصوات اللي راحوا وقت الحادثة.

- **هاعيييييش؟**

***

– هاها حبة حلوين أه!

عملي بالـــكول سنتر زوَّدني بقرونِ استشعارِ خِصَالِ البشرِ، وحتَّم عليَّ تحليل شخصية نزيه الذي يتقمَّص دور "إبراهيم الفقي" من بشاشةٍ وتحفيزٍ للحالة، ورفع روحها المعنوية. ما يضع ريشة على رأس هذا الاخصتاصي دونًا عن الآخرين هو الدور النفسي الذي يلعبه مع مثل حالة. علمُه بسبب صدمتي ومحاولاتُه للتقييم السيكولوجي لحالة فتاةٍ خواطرُها كَفَتْ زَبَدَ البحرِ وزادت، فرضَتَ عليه بَالًا أطولَ من نهرَي النيل والأمازون مجتمعَيْن. عزيزي نزيه أنت تتعامل مع أكثر الأبراج عِنْدًا وتمردًا، فتاة الدلو. فتاةٌ لا ترضَى خواطرُها، أحاسيسُها ومشاعرُها الخروجَ الآمنَ، فهو معارِضٌ صلبٌ يحتاج لجلسات وفاقٍ وطنيٍّ كي يتلاءم. ما مدى تحملِك لفتاةٍ عصيَّةِ الخروجِ من ذكرَى لعينة تطاردها حتى حرمتها الكلام وأصابتها بما يُطلَق عليه.. أفيزيا. شعورٌ بالعجز أن تفقد القدرةَ على التعبير عنك، فأنا أُتَهْتِهُ وأتلعثم كيلا أفقد التواصل، وكم وددت أن أسْمَع ولا أُسْمَع!

– هاتكلم الممتق؟

– الـــدوبامين

– ها؟!

يضع نظارته، يترك كرسي المكتب ويتمشى حتى يجلس مقابلي:

– انتي ماعندكيش دور برد تاخديله قرص أوجمنتين وكباية جتربيل. موضوعنا سببه نفسي وتحوّل لعضوي وعشان يتحل لازم ناخد بالنا من الحالة المزاجية والسعادة اللي بيفزها هرمون الـــدوبامين وأكيد مش هيبقى في علاقة طردية بينه وبين الأسود اللي كل مرة تيجي بيه دا.

–...

– رؤى!

– همم

– لو لسه مش حابّة تتكلمي مش مستعجلين نبدأ أول ما تجي.

سحبت عكازي وترجَّلْتُ من على الكرسي ومشيت ناحية الباب، بينما راح نزيه يراجع ويدوِّن تقييم ثاني جلسات الحالة. جلستُ على الطاولة التي بجوار الباب، ولم أخرج فانتبه نزيه. أمسكتُ بالـــمايك ونقرت **record** بالمسجل ولا يزال نزيه ممسكًا بالأوراق، وقد عقدَت الدهشةُ لسانَه، وأخيرًا بدأتُ..

***

كان رحيل سيف عنّي جسديًّا فقط، فما إن ترى عيناي نورَ كل صبح إذا بيدَيَّ تسحبانني سحبًا إلى الـتابلت أتصفحُ ما تبقّى منه، وكان لرسائلنا عبر تويتر نصيبُ الأسد من ذكرى مَنْ لم أرضَ برحيله، ولكن الخيار الأول للقدر، وما عزرائيل إلا سلطة تنفيذية. أُمْسكُ بالـتاب وأكتبُ له كل يوم صباح الخير ، إلى أن يثبت عكس ذلك. هناك الكثير بداخلي مما كان ينتظره سيف لم يقرأه أو يسمعه، ولذا قررت أن أبوح به اليوم فكتبتُ..

"أنا تعبت، والله العظيم تعبت بجد، إنت في بالي ليل ونهار، مش عارفة حتى أسرح في حاجة تانية، وده مش حلو خالص، علشان خاطري قولّي أعمل إيه؟ماينفعش أسأل حد غيرك، طب أنا مش المفروض أنسى؟ انت كنت مرتبط قبل كدا قولّي انت لما حبّيت نسيت ازاي؟ طب انت لسه فاكرني؟! انت عارف أنا مش متضايقة، أنا كنت فرحانة وأنا بحبك حتى لو حبتني انت بطريقتك، قولّي أعمل إيه يا سيف!

شكلك واحشني، وريحتك وحشتني، وحتى إيدك وحشتني، وحشني وانت بتختارلي الـــبلاي ليست بتاعة منير اللي باحبها، ووحشني إني أصحّيك من النوم. أنا كل يوم باصحى بدري أفتح الرسايل و أقولك صباح الخير و أنام تاني، طول اليوم عاوزة أكلمك وأسمع صوتك وأقفل بسرعة عشان المدير مايقفشنيش في الـــ **shift** أنا هانساك ازاي وانا بافتح تويتر بس عشان أشوفك؟ أعمل إيه وأنا عارفة إنك مش بتاعي ومابقتش ليّا. أنا بجد تعبت.

انت أكيد عندك مليون حاجة دلوقتي تفكر فيها، بس أنا حسيت إني محتاجة أقول اللي عندي، ومافيش حد غيرك هيسمعني عشان مش عاوزة حد غيرك يسمعني، أو يمكن عشان صوتي راح وبقيت بتَهْته، فداك يا سيف، مش لازم ترد بجد، يكفيك تعرف إنك واحشني"

أردتُ فعلًا التمرد على حالة الـــنوستالجيا والحنين المؤلم إلى سيف التي تملكتني من طرف شعري حتى أخمصي قدمي، فأنا أفتقد حياتي الطبيعية بمعنى الكلمة. قررتُ إغلاق الـــتابلت لأَجَلٍ غيرِ مُسَمًّى ووضعَه بالحقيبة التي قررتُ أن أهجرها هي الأخرى، ولن أرتديها، وبينما تتم عملية الهروب الكبير فإذا بي ألمح كارتِ أخيه ضابط المباحث! كيف دخل إلى الحقيبة؟ هل أخذتُ الكارت؟! وكأن سيفًا لعنةٌ لن تزول بسهولة! أخرجتُه ورحتُ أشط بأفكاري. أمسكت بالـــكارت، وراح يستجوبني فضولي.. إن كان في قرارة نفسكِ أن

تصمتي وكأن شيئًا لم يكن فلِمَ احتفظتِ بالـــكارت؟! ألن تعرفي إن كان قد دُفِنَ بكِلَا كُليَتَيْه وقرنِيَّتَيْه؟ ثم لا يتركني ساكنةً، بل يرميني إلى ضميري الذي راح يستجوب هو الآخر.. إن كان بمقدروك مهاتفةُ أخيه، كيف تنامين وغيرُك في أشد الاحتياج لتفاصيل وفاة أخيه المدمن؟ أليس سيف هو ضحية شبكة مخدرات تقطف واحدًا يتلو الآخر من ورد الوطن؟ وكان رأي العقل يتلخَّصُ في ثلاث كلماتٍ "إذا بُلِيتُمْ فاستتروا". ألا ألف لعنة على صراع المنطق والنفس اللوامة! وألفان على ذاك الـــكارت! يقولون إن مواليد برج الدلو هم الأكثر عقلانية. يقولون أيضًا إنهم مُولَعُون بالاستماع إلى صراعات الذات، و كأن للعذاب لذّاتٍ! نحن في مصر لا تسأل من يقولون ولكن نهتم جدًّا بـــ ما يقولونه.

وضعتُ الـــكارت بدُرْجِ الكومود مرةً أخرى، وظللتُ على سريري ساكنة. وقبل أن يكمل عقربُ الثواني دورةً كاملةً أخرجتُ الـــكارت مرة أخرى، وتَمَعَّنْتُهُ في سكون تام. نهضتُ لأغير ملابسي وخرجتُ. على عكس عادتي، لن أتمشى حتى شارع أحمد عرابي، بل سيحكم تحركاتي أنتيمي الجديد، عكازي الطبي الذي قرر لي أن أنتظر تاكسي أمام منزلي. أوقفتُ واحدًا..

– آآآآآم قسمممم قصر النِ (تنهيدة) النننيل؟

– اتفضلي.

لا أعلم إن كانت خطيئتي هي تركي سيفًا ميتًا على طريقٍ سريعٍ دون حتى خيالِ مآته كيلا ينبشه الغراب، أم أن خطيئتي أرتكبها الآن؟ فما أسوأ من الخطيئة هو الاعتراف بها! ألا عجبًا لنفسٍ تُوقِعُنَا في الذنب ثم تَلُومُنا عليه! ما زال جزءٌ مِنّي غيرَ متكيفٍ مع فكرة الاعتراف لأخي سيف، هل سيتفهمني ذاك الكاهن ويمسح على رأسي وأرحل في سلام؟ أم يُجْهِزُ بسوطِه على جسدي المسكين ذاك الجلادُ الأَشِر؟ جُلُّ ما أتمناه أن يدوم مفعول حبوب الشجاعة حتى قسم قصر النيل.

***

- القسم على يمينك يا ست الكل.

- ها.....اه....ووو صصل..نا؟ ات..ففففضل

صعدتُ الدَّرَجَ، ودخلتُ القسم فإذا بقاعةٍ مستديرةِ الشكلِ، عن يمينها وعن شِمَالها غرفٌ ومكاتبُ الضباط، والحجز على مرمى البصر، وكان عبارةً عن حجرةٍ معتمة، وهناك سلاسل تلتفُّ حول القضبان تُظهر وجوهَ مسجلي الخطر، وعلى ما يبدو فهناك من يجلس على كرسي بعجلٍ وقد رمقني بنظرة. بالقاعة دَرَجٌ يوصلُك للدورِ العلويِّ. اتجهتُ يسارًا إلى الاستيفا حيث رُخامةٌ طويلةٌ تقطع عرض الغرفةِ، وخلفها حركة للأمناء والضباط، وعلى جانبَيْها ينتظر المواطنون تقديم شكاواهم واستعلاماتهم. وبطرف الرُّخامة، كان هناك من تُزيِّنُ كَتَّافَتَهُ شريطتان حمراوان، اتجهتُ لذاك الأمين وسألتُ:

- كاب..تن اد اد دميري....فارررس د...ممميري.

– هاها.. كابتن! انتي جاية لعصام الحضري؟ خُدها يابني دخلها لـــ"فارس" بيه.

ما إن نطقها حتى تسلل ذاك الإحساس بداخلي. يقولون إن أَجِنَّةَ قِرْشِ النمرِ الرمليِّ تتصارعُ في رحمِ أمِّها والمنتصرُ يولد؛ تمامًا كما هو حال بنات أفكاري الآن. لا أعلم أيًّا منها سيُقَابل فارس. متاهةٌ ذات أبوابٍ موصدة. تركني سيف بالمغارةِ وحيدةً أقابلُ علي بابا، آمل ألا يهدمَ المغارةَ على رأسي المسكين. لا تكمن الرهبة من منصب فارس كضابط بالمباحث وسلطته، ولكن كثيرًا ما ملأ سيف رأسي عن أخيه الذي سخّر نفسه لمحاربة المخدرات، وتجفيفِ ينابيعها بربوع البلاد. فكم من المُخْزِي أن يخسر أخاه في جرعةٍ زائدة! وأن آخر شاهدة للحادثة تأتي بعد قرابة الشهر! لا لتدلي بأقوالها بل استجابة لضميرٍ طالتْ قيلولتُه. دخلتُ المكتب حيث تقبع بعض الأوراق المتبعثرة، طفاية من الفخار مملوءة برمل وُئِدَ به أعقابُ سجائر **Davidoff**. يضع عطر **lacoste** ويرتدي قميص **slim** لبنيَّ اللون يستر مفاتن جسدٍ متناسقٍ إِثْرَ تردده على الجيم مُشَمِّرًا إياه إلى ما قبل مرفقه وتُزين ساعدَه ساعةُ رولكس.لا يبدو أنه أطفأ شمعة عقده الثالث بعد. تميل بشرته إلى البرونز الفاتح ليزيده وسامةً..وحَسَنَةٌ رسمها بيكاسو بعنايةٍ أعلى شفتيه تزيده إثارةً، وشعرٌ أسودُ صُفِّفَ بعناية. دخل المجند وأعطاه التحية:

- الآنسه دي بتسأل على حضرتك يا فندم.

- مأنا فعلا تايه وبيدوروا عليا.. ها يا ستي اشجيني (قالها باستهزاء دون أن يرفع عينه عن الورق)

ثم فُكَّ لِجَامِي أخيرًا.:

- آننن...ا كايه (جايه) بخ....صوص سيف

نطقتُها فتوقف قلمُه عن الكتابة، انتبه، رفع رأسَه إلى مصدر صوت الجملة، ثم أشار إلى المجند أن "انصرف" دون أن ينبس ببنت شفة. ظلّتْ تعبيراتُه واجمةً حتى قام بالوقوف ومشى حتى أصبح مقابلي حاملًا علبةَ سجائره بين يديه، ثم تأمَّلني في صمت. جلس وأشار لي بالجلوس، فجلستُ على كرسي الاعتراف وبدأ:

- رؤى؟

- أيوه.

أولى نظرات فارس كانت سؤالًا معقدًا سيطول شرحه، فقد كانت تستغرب العكاز والتهتهه في الكلام لذا اختصرتُ:

- أااافيز..يا.

-... (أماء برأسه وضاقت عيناه أي "اشرحي")

- جللطه بتـــ.ـــأثر ع الـــ.. نناحية الشـــ.مال م الــ جسم

والـــ..مخ ورجـــ...لي.

- يظهر إن المرحوم ماكانش عزيز عليا أنا بس

- الله ير..حمه.

- ليمون؟

- آم..ملوش لـــ..ـــزوم.

- ازاي؟ أنا بقالي شهرين باعصره.. ثانية واحدة (يهاتف البوفيه).. أيوه يابني هاتلي ليمون و فرنساوي مانو.. مانو يا مرعي عشان مادلقهاش في وشك.. بسرعة. ها يا رؤى تحبي تبدأي منين؟

بالرغم من أنه كان على موعدٍ مع فتاةٍ مصابةٍ بالأفيزيا. إن حكَتْ تلعثمَتْ، وإن لم تتلعثمْ تهتهَتْ، فإن فارسًا لعب دور "مجدي يعقوب" واستخلص مني ذاك الشعور بالرهبة وعدم القدرة على التعبير. سَخِيُّ الأسئلة، بخيل الكلام؛ فقد استمعَ بإنصاتٍ إلى تفاصيل وفاة سيف، ولكن ليس هذا كل ما انصبَّ عليه حديث ضابط المباحث المحترف، الذي يُوفِّر لك الأمان والنسكافيه ومقطع لأم كلثوم -ربما- نظيرَ معلومةٍ ثمينةٍ. رغم أنِّي تفهمْتُهُ فإن شعوري بالضيق لم يتفهمْهُ.

***

– وفجأة لقيت في إيده السيجارة دي.

– فاكرة شكل السيجارة؟

– فودو.

– جابها منين؟

– آم مكنتـــ ش ديـــ .ـــلر قبل كده.

– هاها سمعتي مكان؟ اسم حد؟

– لأ مش ها..ف. ثانية السـ ...ـيجاره خد..ها من واحد.

اســـ..مه أللللماني.. باكـــ..ـــس(تنهيدة) باكـــ..ستاني اه افـــ..ـــتـــ..ـــكرت. اسمه أفـــ..ـــغاني.

– هـــــــايل تفتكري بقـــــ..

- زي الأفلام.

- أفلام؟!

- دايـــ..ـــما تيجــ..ـــوا ف اللآ..خر.

- أه، قصدك إني أقبض عالشبكة وأتصور جنب سيادة الوزير وصورتي تطلع في اليوم السابع.

-وتتــ..رقي وتــ..ــعلق..نجـ..ـــمه...تاخد سوكـــ..ـــسيه.

- أمم.

نهض من جلسته ومشى ببطء في الغرفة وأكمل:

- مُتفهِّم خسارتك لـــسيف واللي جر وراه أفيزيا وحالة نفسية محبطة، بس صدقيني مش هتبقى محبطة أكتر من (صوت حشرجة) ظابط أخوه ميّت بجرعة زايدة (ينظر إلى تابلوه مقلوب ثم ينظر أرضًا) إحساس بالعار إنك مش قادر تبص في وشه ولسه ماجبتش حقه (ينظر إليّ حابسًا فيضانًا من الدموع) حقه اللي راجع راجع.

ارتبكتُ وتأثرتُ فاعتذرتُ:

- انن..نا أسفة.

- لا انا اللي أخرّتِك اتفضلي.

مَشَيْنَا حتى باب القسم.

- أبقى غشيم ولا وقح لو سألتك معاكي عربية؟

- اللىل...اتنين؟.

- لا مأنا كدا هاختصر المسافة للحجز.

- ياممّا ففي الحبس مظا..ليم.

- أهو طيبتكو دي اللي مش هتخلينا نقفش لا أفغاني ولا غيره.

- هاها..

- تاكس .. أقوله فين؟

- 94 ششارع اللىل..عالمين.

- خد يابني. هتوصل الآنسه للمهندسين 94 شارع العلمين

يرد السائق: "حاضر يا باشا"

- اتفضلي يا رؤى. هاستناكي تكلميني.

بيــــب.

ارتفعَ زِرُّ التسجيل، أي أن الشريط قد تمّ تعبئتُه كليًّا ولا مساحة أخرى للتسجيل.

- تمام احنا كدا خدنا كفايتنا وزيادة الجلسة دي، وفي تحسن الحمد لله.

– أمشي؟

– تمام وميرفت هتكلمــك

نظرتُ له ضيقًا..

– هاها والله ظلماها خلاص يا ستي هاكلمك أنا، في حفظ الله.

***

– عارف أكتر حاجة عجباني فيك إيه؟

– أه عارف (محركًا حصانه الذي كان يحمي الوزير).

– إيه يا أينشتين زمانك؟ (يهرع إلى أكل الوزير المكشوف).

– أني مارميش طعم وماطلعش بسمكة.. كش مات (يقدم العسكري خطوةً ليضع الملك بخانة السـيكِّ محاصرًا إياه بـطَّابيه وحصانٍ وعسكريٍّ!

"تنبيهٌ أخير: على السادة المتجهين إلى مطار أبو ظبي التوجُّه للاستعلامات للأهمية"

– يللا عشان تلحق طيارتك. بدري لسه عليك يا طري.

وبينما أُتابع الصورةَ بشغف، سمعتُ صوتَ صريرِ بابٍ يُغْلَقُ على الاثنين ليقطعَ البثَّ ويحجبَ الرؤيةَ.

ثم استيقظتُ..

سمكة؟.. طُعم؟.. أبو ظبي؟.. أيادٍ تُحَرِّكُ قطعَ شطرنج..

أصواتٌ لم أميزْها.. طائرة..! "الله أكبر.. الله أكبر"، خواطرٌ قطعَها أذانٌ. جلبتُ الساعةَ من فوق الـــكومود لأعرفَ كم غفوتُ. الساعةُ 3:32 ، استندتُ على عكازي فأخذ بيدي بعناية ورافقني خارج الغرفة حتى باب الثلاجة الذي لُصِقَ عليه ورقةٌ، "أنا نازل البلد النهارده عشان أحضر بيعة أرض البيت القديم". يُعتبر بابُ الثلاجة هو الإنبوكس الرسمي بيني وبين جدي، ولولا تلك الثلاجة لفقدنا التواصل؛ فقلما نرى بعضنا البعض. شغَّلتُ الكاتل لعمل كوب نسكافيه، أعظمِ ما توصلت إليه البشريةُ وحسنة جارية على رُوح هنري نستله. أحضرتُه ورحتُ أشاهد التلفاز حيثُ البرنامجُ التلفزيونيُّ الأشهرُ في مصر (فيها حاجة حلوة)."معانا النهارده د."هند القشاش" مديرة دار ابدأ لعلاج الإدمان، أخبار الحملة إيه يا دكتور؟ عاوزة أقولك يا عزمي وأنا جاية عرفت إن هاشتاج بطل هاش واخد أعلى trend على تويتر جوا مصر و دا شيء مُبَشِّر لحملة هدفها تقليص عدد المتعاطين إلى 30% مع نهاية العام عشـــــ..". أغلقتُ التلفازَ ونَحَّيْتُ الـــنسكافيه جانبًا كي أحضر لَوْحَتِي وألواني متجهةً

إلى غرفةٍ 2 متر× 4، هي مساحة مرسمي الصغير. وضعتُ الحامل أسفل صورة سلفادور دالي التي نُقِشَ عليها "السيريالية هي أنا" وأنا أوافقه الرأي تمامًا؛ فالمدرسة السيريالية هي واقع اللاواقع، الوعي باللاوعي، والشعور باللاشعور، حيثُ تسبح في عالم من الرموز والصور التي تتداعى أمامك ولا تملك يداك إلا الاستجابة لتلك الخيالات التي تكشف النقاب عن ذاك العالم الغامض. هناك علاقة وطيدة بيني وبين لَوْحَاتي السيريالية لا تفهمها سوى الريشة، حيث الرُّوح رُوحك والجسد جسدك وعمق الفكرة هو موطني؛ ترسمُ بلا قواعدَ صورةً لأشخاص يحلقون بالسماء، أحصنةً طائرةً، رجلًا يمد يده إلى السماء ليهدي حبيبته نجمةً فتسقطَ السماءُ عليه ويموت على طريق السخنة.. إلخ. لوحةٌ فنيةٌ تكونُ هي الشاهد الوحيد على فتاة غنيَّةٍ بالخواطر. وها قد انتهيتُ. لنرى.. بابٌ طويلٌ و عتيقٌ بمقابلة فتاة صغيرةِ الحجمِ تمد يدها بشكلٍ خرافيٍّ حتى طالت الباب الذي أُحْكِمَ غلقُهُ بسلسلةٍ غليظةٍ يتدلى منها مِفتاحُ الحياة يتطابق في الشكلِ مع سلسلة مفتاح الحياة الذي أهداني إياها أبي –رحمه الله– وبرر "ستحتاجينها يومًا ما". هل أنا تلك الفتاة؟ هل قمتُ برسمي؟ وإن كنتُ أنا، فلماذا البابُ مقيدٌ بـــمفتاح الحياة؟ أيحجب خيرًا أم يمنع شرًّا؟ وأي الأبواب هذا؟.. اللعنة.. أيعقلُ أن..!

هل هو الباب؟ فإن كان هو فأنا على موعدٍ مع مخاطرة قد.. لا أعلم ما ستؤدِّي إليه. فقط أريد أن أعلمَ ثمنَ ضريبةِ خَوْضِي التجربة.

هل عِنْدي ما أخسره؟ خلق الله فينا الشيء ومضادَّه.. الرغبة والكمون.. اليقين والظنون.. الخوف والجرأة.. جرأة ..جرأة.

سرى صداها في جسدي كبوقِ الحرب فلبَّيْتُ النداءَ. اقتربتُ من الدَّرَجِ في معادلةٍ طرديَّةٍ مع الأدرينالين. نزلتُ، وما إن وطئتُ دِهْلِيزَ قبو البيت حتى سادَتِ العتمةُ المكانَ عدا مصباحٍ يتيمٍ في آخر الدهليز ينقطع ويضيء، فأضأتُ مصباح هاتفي. ممرٌّ ضيقٌ وأرضٌ غير مستويةٍ بلاطاتُها، مما زاد حرصي إلى أي أرضٍ يطؤها عكازي، فآخر ما أريده الآن أن أسقط أرضًا. ها هو.. بالفعل هو ما رسمتُ، نفس الطول نفس اللون نفس الشموخ. مهلًا! إنه يُطَابِقُ حتى ما رأيتُ في الحلم. له رهبةٌ وكأنه يعلم ما يخفي من أسرار. لاحتْ لي الفرصةُ منذ خمسة عشر عامًا عندما كنتُ ألعبُ بالكرةِ مع "فرح" يوم الوقفة، حينما نزلتِ الكرة، ونزلتُ لأحضرها، حينها أغواني فضولي إلى أن أذهبَ للبابِ، وما إن اقتربتُ خطوةً حتى أمسكتْ بي يدٌ من الخلف. كان والدي الذي عنَّفني وطلبَ وعدًا "ممنوع تنزلي هنا تاني انتي فاهمة! وماتقربيش من الباب دا. اوعدي بابا يا رؤى ماتنزليش هنا تاني" وقد كان. جلستُ على الأرضِ لتأمُّلِه، ثم محاورَتِه.. ماذا تمتلك؟ ما وراءك؟ سألتُ ولم يُجِبْ ذاك العتيقُ الذي يمتلك شَرخَيْنِ بأوسطه رأيتُهما عينَيْنِ تنظرانِ إليّ بتحدٍّ. سمعت صوتَ "بيب..بيب" فجأةً فشهقتُ.

كانت بطارية هاتفي 5%. يُدَغْدغُني فضولي أن أفتحه، بينما الأدرينالين بداخلي أرسل بعض العرق إشارة أي "اصعدي فورًا".

امتلكتُ القرار فامتلكتْ جسدي قشعريرةٌ. معذرة يا أبي على وعد بلفور. وقفتُ واقتربتُ أكثرَ وأكثر. والسؤال الآن هل الباب مفتوح؟ بالتأكيد لا، وسأصعد على الفور. أمسكتُ بمقبض الباب، بل هو من أمسك بي! أنزلتُه إلى أدنى مستوًى. مفتوح؟! أرجعتُه قليلًا.. يا إلهي! إنه نفسُ صوت الصرير بالحلم، وكأني أعيش حلمَ 3D . لم تقاوم حساسيتي الترابَ والهبوَ حبيسَ العقودِ، وقد جئتُ للتوِّ لأطلقَ سراحَه، فسعلتُ. فتحتُ الباب وجسدي بالخارج، وكأن هناك من ينتظرني بالداخل. لم تعطِني مجالًا للتفكير، بل سحبتني قدمي سحبًا بكل ديكتاتوريةٍ وتعنتٍ إلى الداخل. مشيتُ وعكازي خطوتين. رفعتُ الهاتف كي يضيء حوائطَ عليها حروف لغةٍ غير مفهومةٍ ثم.. ماتت البطارية. انقطعتِ الصورةُ فوقعَ قلبي من بين ضلوعي. نويتُ الخروجَ الآمن بأقل الخسائر، إلا أن فضولي ربطَ قدمَيَّ بمرساةٍ وأغرقني بعُمق الغرفة وأسرارها. يعكس بصيصُ الضوء شيئًا ما بالغرفة وينقشعُ فتروحُ الصورة. مَنَّ عليَّ بالأولى فلمحتُ برديةً فرعونيةً منقوشةً على الحائط. مَنَّ ثانيةً فإذا بإحدى الملاءات المهترئة تكسو كتبًا غمرها الترابُ. اقتربتُ نحوها أترنَّحُ برفقٍ على الأرضية. سكونٌ تامٌّ عدا صوت صرير أرضية ذاك الخشب العتيق يزيد المشهد تشويقًا، بل..

رعبًا. اقتربتُ ورفعتُ المُلاءة. مسحتُ بيدي لأقرأ عنوانًا فلمحتُ ما لم أكن أتوقعُه. أمسكتُ بالكتاب ثم سمعتُ صوتًا وانطفأ النورُ.. وعاد فنظرتُ وجهةَ الصوتِ فرأيتُ.. نفسي! من خلال مرآةٍ عتيقةٍ مشروخةٍ.. انطفأ وعاد.. وكأن شيئًا ما يُناديني بتلك المرآة فظللتُ محملقةً.. انطفأ.. عاد.. لا شيء.. انطفأ.. عاد ومعه.. أحدٌ ما خلفي فالتفتُّ، ولكن ليس بسرعةِ الضوء الذي حجب الرؤيةَ.. لفترةٍ أطولَ.. عاد.. ثم..لا شيء.. ثم سكونٌ.. قطعَتْهُ سيارةٌ ذات إضاءةِ زِينُون عالية تسربت إضاءتها من نافذة البدروم وعكستْ كل الغرفة. عكستْ ظلي ولمحتُ بطرف عيني.. ظلًّا آخرَ تَخرجُ منه يدٌ تتحرك بسرعةٍ باتجاهي.

***

- ألو رؤى؟

- ممين؟

- تقدري تجيلي دلوقتي القسم؟

- دللـــــ وقتي! طب هلللـــــــ هلبس واجي.

كان هذا ملخص مكالمة فارس المُقلقة. لم أتوقعها ولا أتوقع أن أتوقع ما يريده. ارتديتُ ملابسي وخرجتُ من العمارة، وما هي إلا دقيقة حتى عَبَر تاكسي ليقف أمام مدخل العمارة دون إشارةٍ!

ركبتُ

- قسم قـــــ..

- قصر النيل. تمام يا فندم.

ارتفع مؤشر القلق داخلي. أمتعجلٌ أنت لدرجة إرسالك تاكسي؟! أسرعَ السائقُ، وما هي إلا دقائق حتى وصلنا.

– حـــــ ســــــــ سابك.

– وصل يا فندم.

–..!

نزلتُ، صعدتُ الدَّرَجَ ودخلتُ القسم مرة أخرى، دون إرادتي هذه المرة، وفي مكتبِ فارس اصطفَّ عددٌ من الوجوه. على ما يبدو أن الظرفَ ليس مواتيًا كي يرحب بي سيادة النقيب ويقدم الليمون.

فقط اقتربَ منِّي وهمسَ في أذني:

– هتبصي عالوشوش دي وتطلعيلي أفغاني.

– بس انننــــــــــــــــا...

– افرد وشك يا روح أمك انت وهو (بحدةٍ ملتفتًا ناحيتهم).

لم أرَ هذا المشهد إلا في فيلمٍ لـــ"نادية الجندي". ابتلعتُ ريقي حينما رُصَّتْ أمامي تلك الوجوه، وجوهٌ عليها غبرةٌ. "أربعة مشتركين رحْ نختار منهم واحدًا هَلّأ بالبروم"، ربما أنا لست ببراعة "هيلدا خليفة" ولكن أنا لجنة التحكيم وسأحسم مصير أحدهم في غضون ثوانٍ. نظرتُ إلى فارس في رهبةٍ فأماء بوجهه لأسفل أي "اصمدي" الأول كان أسمر البشرة، ذا كَنَشٍ في العين اليُسرى. الثاني كان أبيضَ

أملسَ ولا يبدو عليه أي إجرام. الثالث كانت تزينه بِشْلَةُ بخدِّه الأيمن. الرابع بدَتْ عليه ثقةٌ لا متناهية لم تمنعني من التعرف عليه.

– هو دا...

اقترب فارس منه أكثر حتى صارا وجها لوجه. حشر سيجارته بين شفتَيْه دون أن يرفع نظره عن عينَيْه، ثم أرسل سحابة دخان أخفَتْ وجهَهُ وصاح..

– خدلي يابني الباقي عالحجز (واستطرد بنغمة أقل حدة)، أف غا ني.. حلو الاسم برضو لزوم الساسبنس وكدا، دا شورة مين بقى؟ بابا ولا ماما؟

وفجأة انقلبتْ بسمةُ الاستهزاء إلى وجهٍ صارمٍ..

– بتجيب الفرش منين؟

–...

– بتجيـــــب الفرش منيـــــن؟

–...

– امم رؤى!

انتبهْتُ فجأةً ناحية فارس الذي بات من الصعب توقعه.

– شوفتي اللي حصل معايا النهارده؟

– ها!

ثم بدأ بالكلام وهو يتمشى حتى كرسي مكتبه.

– الميلانيزيون؟

– أمـــــــبـــــــ مين!

– قبيلة في استراليا هم الوحيدين اللي بشرهم سمرة وشعرهم أشقر في العالم (في إشارةٍ لوصف مطابقٍ لـــ أفغاني عدا الشعر المصبوغ بصبغة أوكسجين) المهم مِعَدّي النهارده لقيت واحد كده من الجماعة دول وعنده زي أتّب.

– اتَــــــــــــــــــــــــتب؟

– ده اللي كنت فاكره، بس قربت منه طلع صندوق الدنيا. إديته تعريفة، وأشد البكرة عشان أتفرج على عنتر العبسي ألاقي إيه اللي طلع في إيدي؟

يَمُدُّ يدَه تحت المكتب ليخرج شيئًا ما، فإذا بلفَافة بُنِّيَّةٍ علمتُ أنها تربة حشيش..

– الله واحد (يضعُ التربةَ الأولى)، مالوش تاني (يُخرِجُ الثانيةَ ناظرًا إلى أفغاني)، العدد تلاتة (يُخرِجُ الثالثة حتى قاطعُه أفغاني)..

– عليا الحرام من ديني ما خصِّني يا باشا.

– 4 تُرَب حشيش لبناني و عشان أنا مُرْزَق وابن حلال طِلعْت بدا (أخرج شريطًا مطولًا وسيجارتَيْن)، 10 تذاكر هيروين وسيجارتين فودو يا أم السعد.

– يا باشا القرش دا مش تبعي وسيادتك عارف دا أبوس إيدك (يهرَعُ ليقبل يدَيْهِ) دي فيها البدلة الحمرة.

– الله ينورعليك يابوالأفغاااان

– يا باشا دول هما صباعين حشيش اللي اتمسكتْ بيهم!

– إتجار برضو 25 سنة وأَفْشَخ مُحامي هيترهم 15، بس قال الله ولا قالك يا جدع ربنا ما يجيب قواضي.

– ها.. قصدك إيه يا باشا؟

– إنت بقالك قد إيه في التوئة دي؟

– 3 سنين.

– تؤتؤتؤ، أهو أنا بقى مايقهرنيش إلا الشاب اللي ماعندوش طموح! 3 سنين ديلر؟ مافكرتش تكبر؟!

– أكبر؟!

– عاوزين نبقى بروفيشنال شوية (يضع فارس يده على كتفه) في بلدنا هنا 97% باضين تحت رجليهم، و3% مشغلينهم

– مش فاهم.

– أفهمك، أنا مش عاوزك انت أنا عاوز الحمار اللي فوقيك.

– الدولاب؟! بس دا زي شقيقي يا فارس باشا وعشرة عمر.

– ما قولنا نبقى بروفيشنال بقى.

– طب.. وأنا عدم اللامؤاخذة أما أسلم الدولاب.. هانجز منين؟

– دولابك أهو (ساحبًا ترب الحشيش ناحيته) كمية تسطل شارع الهرم كله، توسع بيهم نشاطك وأغض الطرف عنّك وعن صبيانك!

– صصصبياني!

– شوفت بقى مين شاري ومين بايع؟! قلبي على أفغاني انفطر وقلب أفغاني عليا حجر.

– بتاعك يا باشا (لامعة عيناه باتجاه الترب).

– آمين.

يَمُدُّ يدَه باتجاه الحشيش:

– استنى بس رايح فين؟ دولاب قصاد دولاب.

– اه بروشيفنال يعني.

– هاها بالظبط كدا. يلّا يا وحش وريني همتك.

– بالإذن يا فارس بيه.

وقبل أن يخرج أفغاني من باب المكتب صاح فارس:

– أفغاني! (فتيَبَّسَ مكانه تحت حلق الباب مباشرةً دون أن ينظر خلفه) في الحجز اللي قدامك وانت طالع هتلاقي واحد على كرسي بعجل دا ديلر.. كان ديلر! هرب من الداخلية واستخبّى في شق التعبان.. واتجاب. المهم هتلاقي صندوق خشب ابقى حُطِّلُه فيه حاجة لأحسن أصحاب الكرسي طلبوه، واحنا بِنْلمِّلُه عشان مايترميش كدا. إنت عارف حقوق الإنسان دول صداع. اتفضل

ابتلعَ أفغاني ريقَه ورحلَ، وقامت داخلي حينها ثورة لم أقمعها.

- دا اللـــ لى قتل أخوك!

- وعشان كدا مشِّيته.

أُحملقُ في وجهه في دهشةٍ وذهول..

- مـــــــــ مش فـــــاهمة!

- دا كلب شارع هاشده هيطلع ألف غيره.

- اننــــــــــــ ت اد...ديته الفرش.

- وخدت منه الشبكة.

- اننـــــــــــ ت مشـــ.. شيته.

- جرا إيه يا رؤى انتي هتعلّميني شغلي ولا إيه؟ روحي ظبطي حروفك الأول.

نزلَتِ الجملةُ عليَّ كالصاعقة:

- رؤى أنا..

- أننـــــ نا مد مـــــــ مانة اللـــــــــــ لحظة وثـــــــــ ثقت فيك.

- رؤى.. رؤى..

لَمْلَمْتُ حروفي المبعثرة هنا وهناك، ورحلتُ في صمتٍ. نَفْسٌ أُزْهِقَتْ بفِعْلِ سكّينٍ غير حادٍّ.

***

كعادتها دخلتْ "بيريهان الحسيني" الممثلة الصاعدة إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل عقب سهرة غير بريئة مع منتج أفلامها الجديد الذي قدَّمَتْ له الغالي والنفيس لتقنعه بما تجاهلُه غيرُه وتُثبتَ بالدليل القاطع أن بيريهان جات تالنت، فَتَحَتْ باب الشقة وقبل أن تُنير البيت لمحَتْ قضمةَ تفاحةٍ مضيئة ويصدر منها صوتٌ لفيديو ما..

– إيه دا انت مين؟

– تصدقي فصلتيني كانوا خلاص هيشبطوا السبليونه في السبليونه.

– يا جاااااااااااابر.

– على ما يطلع جابر يكون الفيديو خدله كام ألف لايك عالـــيوتيوب ويومين وتلاقي مانشيت القبض على الصاروخ الصاعد في شقة ثري عربي.

– إنت عاوز إيه؟

– انتي اللي عاوزة.

– الفيديو قصاد إيه؟

– الشبكة.

– أنا مش شغالة في الدعارة.

– هاها شايفة بقى دماغك الشمال.

– أُمال إيه؟!

يلمح علبة دومينو بطرف عينه فيُخرج منها الأرقام من 1 إلى 6 ويضعها أمامه:

– اليْك (يقوم بوضعه بصورةٍ رأسيةٍ) مات بجرعة زايدة من الـــفودو وبعد ما اطقسنا وصلنا للـــدو (يرصُّه بعده بسنتيمتر) اللي هو الديلر اللي باعله وبذرة الشبكة. المهم الـــدو وصّلْنا للـــسي (يرص الورقة الثالثة) اللي هو الدولاب. بندعبس في الدولاب وصلنا للوسيط (يضع الـــجيهار) اللي دوره بمنتهى البساطة إنه يسميلنا الـــبيش والـــشيش ويسلمها الورقتين فتبتلع ريقها.

– طلّع الـــجيهار بره.

– يديني أمارة.

وبيدٍ مرتعشةٍ ترصُّ الورقةَ الخامسةَ ولكنه قاطعها:

– قبل ما نبدأ يا بيري انتي أفيش الفيلم بتاعك مالي الدائري والمحور لو حاجة مالللي بتقوليها قلشت أوعدك إن الكلام دا كله هيتلم وهيبقى أقصى طموحاتك إن صورتك تتحط على علب البوكس دا لو شفتي الأسفلت أصلًا.. غير كده أمان.

انتهى فبدأَتْ بوضعِ الورقة الخامسة:

– هند القشاش.

– نعم؟! دا احنا منسقين معاها حملة #بطّل_هاش

– وهي هتلاقي أحسن من الداخلية ستارة!

– انتي هتشتغليني يا روح أمك؟

– يا باشا هي مش القشاش معاها خَلِيَّة عَمَل بتعْمِل جَرْد لكَمّ المتعاطين في أي مكان في الجمهورية، وبتعمل بعد كدا حملة توعية كبيرة، والداخلية من ناحية تانية بتأمّنها وبتْنَزِّل حملات للمكان دا. طب هي جابت معلومات عن مصر كلها. بس لو دعبست شوية مش هتلاقي أي معلومة عن منطقتها هي، ودا بيبقى دِيل بينها وبين التجار اللي في المنطقة، وبتاخد حقها كاش بس التجار أحيانًا بيضغطوا عليها عشان تاخد حقها بودرة.

– زيادة أمان عشان يِلُطُّوها.

- بالظبط، ومن كتر الثقة إنها متغطية بِيكُو بتسيب الشغل في جراج الفيلا عادي.

- يا بنت اللعيبة! والقشاش مين اللي ساندها؟

(يعطيها الـــشيش).

- لو الورقة دي اترَصّت هيبقى في خطورة على حياتي.

- لا متقلقيـــــــ...

- وحياتَك.

- اشمعنا؟

- اعفيني أبوس إيدك.

- أمان.. جيهار بره.

يضرب اليْك فيُسقط المتوالية كلها من ورق الـــدومينو ويرحل.

***

– كملي.

– اللل حجلم خلص.

– وبنسبة قد إيه أحلامك بتتحقق يا رؤى؟

– امم مية في المية..

– الكلام دا معناه إنك بتشوفي الجريمة قبل وقوعها وبتتنبأي بأحداث بتحصل في البلد وبتحصل بنسبة 100%. الكلام دا في منتهى الخطورة لو خبّيناه.

– ووويرضه (نَفَس) لو قولناه.

– يـــااه هند القشّاش!

– أننن نا مصدومة.

– مابتفكريش تساعدي بيه الظابط دا؟

– (ابتسمتُ ساخرةً) مما هو فارس كد.. دا (نَفَس) كدا هيعرف.. الأحلام بتتـــ.. حقق.

– اه صحيح وبعدين من امتى الداخلية بتاخد بالأحلام! فكرتيني بـــعادل إمام في اللعب مع الكبار.

– عا وزهم يقـــ.. تلوني؟

– لا عاوزك ماتحكيليش.

- هاها.

- رؤى في حاجة افتكرتها دلوقتي.. هو أفغاني دا اللي..

- حلم.

- يا نهار أسود! اتقبض على حد وجَر وراه شبكة كاملة بسبب حلم شوفتيه. لأ الأسياد راضيين يا رؤى.

- أنا بدأت أترعب فعلًا.

- بس هو انتي مافكرتيش دا بيحصلك ليه؟

- بط طلت أفكر.....بس..

- بس إيه؟

- وللا حاجة.

- الكتاب؟

- حاســـ.. سة جو واه هلاقي إجابات (نَفَس) لأســـ.. ـــئلة كتير جوايا.

- منها موضوع الأحلام والرُّؤى؟

- وورغممم كده مفتحتوش.

- أكيد باباكي الله يرحمه كان ليه أسباب مقنعة إنك ماتهوبيش ناحيته.

– للل لازم أعرف.

– صحيح ايه اللي خلّى جدك يترل وراكي البدروم مش كان نازل البلد؟

– ال قطر راح ععع عليه.

– أه وأما رجع فتح، سمع دربكة ونزل يشوف في إيه.

– بالظ ظبط.

– يعني باختصار انتي خايفة تفتحي الكتاب وتندمي إنك قريتي.

– ودا عامـــ ملي فوبيا.

– **OCD**.

- ها؟

- مرض الوسواس القهري. دا بيخليكي دايمًا خايفة تعملي حاجة وبيثقل بالك بخواطر سيئة.

إنتي خايفة تكوني مسؤولة عن حاجة كارثية ممكن تحصل ودا بييجي لما الواحد يمر باضطراب معين.

- والـــ.. عمل؟

- (اقترب هامسًا بأذني) "مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ".

- ممم.

- ربنا نزل الآية دي بالذات عشان ترحمنا من زنُّه. ماتخليش حد ياخدلك قرارك.

أومأتُ برأسي أي: "فهمتُ".

– أشـــ.. ـــكرك ازاي؟

– إن حالتك تاخد وقتها وحروفك ترجع على مهلها عاوزين ناكل عيش.

– هاها.

– مع السلامة يا رؤى.

غادرتُ عيادة دكتور نزيه التي لا تبعُد كثيرًا عن منزلي وفي قرارة نفسي قرار جريء، أعلم أنه يُشبهني لأنه وليد أفكاري الطازجة. مسكتُ ذاك الكتاب ذا الغلاف السميك الأحمر، الذي حُفِرَ عليه بلونٍ ذهبي "مذكراتي"، فتحتُها وقرأتُ:

"كنتُ على يقينٍ بأن يأتيَ اليومُ لتنكثي بوعدك لي. فقط اعلمي أن مع تَمْتَمَةِ شفتيك آخرَ حروف تلك السطور ستكونين على أعتاب نقطة اللاعودة. من الشجاعة أن تكوني موجةً، ولكن حذارِ، فمهما يأخذِ الموجُ من البحر تبقَ الأمواجُ أمواجًا والبحار بحارًا".

كان السطر الأول من المقدمة إشارة حمراء مُوجِبَةً الوقوف والالتزام بها.. لكن من المُمتع كسرُها وأخذ مخالفة..

***

مصر 1730 ق.م

"مع نهاية الأسرة الثانية عشرة، وبداية الأسرة الثالثة عشرة بدأت جماعات بربرية آسيوية في الظهور عرفت باسم "الهكسوس". ارتحلت من بلاد الشام نتيجة ضغط هجرات هندوأوربية جاءت من وراء جبال زاجروس وطوروس (حدود العراق حاليًّا) واستقرَّتْ في شرق الدلتا كونها الملاذ الآمن للزراعة. حينئذٍ لم يجد "الهكسوس" أيَّ مُعوِّقاتٍ وصعوباتٍ في دخول مصر التي كانت تعاني تَرَاخيًا شديدًا في تأمين الحدود الشرقية للبلاد نتيجة تَرَدِّي الأوضاع في شَتَّى المجالات من تعاقُبٍ سريع لملوك، وسيطرة حكام الأقاليم على مقاليد الأمور، وصراعات داخلية عديدة. الأمر الذي سَهَّل من سرعة انتشارهم في البلاد. ما إنْ قَوِيَتْ شوكتُهم أكثر حتى أصبح إسقاط المدينة المحصنة "مَنْف" (العاصمة القديمة للبلاد إبان الدولة القديمة وهي الجيزة حاليًّا) نُصب أعينهم، وشغلَهم الشاغلَ، فكان لهم ما أرادوا. ما إن علم

"توتيمايوس" (حاكم البلاد حينئذٍ، الذي كان يقبع بـــ"آيث تاوي"[2] ، بأمر تهاوي العاصمة وسقوطها بقبضة الهكسوس حتى ولّى الدبر. كسَتِ الحيرةُ وجهَ توتيمايوس والبيت المالك عن خير مقصد يُهرعُ إليه! كانت طِيبَة (الأقصر حاليًّا) هي الإجابة، فكانت هي أقوى مقاطعات الجنوب، كما أن بُعْدَ المسافة بين المناطق التي استحوذ عليها الهكسوس والعاصمة حَالَ دونَ وصولِهم إلى حاكم مصر والبيت المالك. ما إن وطئتْ قدمُ توتيمايوس أرضَ طيبة حتى لَقِيَ كلَّ الترحاب والحفاوة من جانب حاكم طيبة. حفاوةٌ باطنُها الرغبةُ في أن يُظهر الرجل في أعين بقية المقاطعات أن حاكم طيبة آوى ملك مصر والأسرة الحاكمة، وقد كان هذا الحاكم ذا قوة ومتانة على أن يكون أهلًا لذلك. كما أنه كان على يقين من زوال هذا البيت المالك عن قريب، وأنه بذلك سوف يكسب شرعية حكم البلاد بعد زوال ذلك البيت".

لا أعلم إن كان ما أقرؤه هو مذكرات أبي أم كفاح شعب طيبة!

ألهذا قطعتُ تذكرةَ قطار الموت؟ دقائقٌ مرتْ قرونًا فحُبِّي للتاريخ لا يُخَيَّرُ عن حبي للتفاضُل وحساب المثلثات؛ لا منفعةَ لهما إلا في التنسيق. لا أفهم لِمَ يستهلُّ مذكراتِهِ اليوميةَ بغزو الهكسوس لـــمصر؟

[2] بني سويف حاليًا، وكانت هذه المنطقة مثل مُنتجعٍ سياحيٍّ كما شرم الشيخ.

ما الغرض وراء ذلك؟ هل لوَلَعِه بالتاريخ والآثار والمصريات؟ وإن كان فما دخلُه في حياتك الشخصية؟! ألهذا رهَّبْتَني بتلك المقدمة؟ ألهذا نكثتُ أنا وعدي؟ وبينما أَقلّبُ ثاني الأوراق آملةً أن تفقس تلك البيضة التي وضعني بها أبي، إذا بهاتفي يرنُّ بنغمة إشعار الـــواتس آب. "فرح كُريِّم" صديقة السوء منذ كي جي 1 وخاتمة سري

– إيه يا أوكشه مش هتيجي؟

– والله أنا شاكّة فيكي.

– ليه كدا أرؤى أجيبة قلبي دانا حتجنن عشانك.

– هاها.

– بقولك البنات هيتقابلوا في ستاربكس.

– سالي جايّة؟

– هاقلبها.

– طب عدِّي.

– ساعة وابقى عندك.

فرح هي اسم على مسمّى. على علمٍ بما أسررتُ وما أعلنتُ.

هي ظلي وصدى صوتي. إسفنجةٌ تمتصُّ كل ما بي من ضغوط وبدونها ينقصني الكثير. غيرتُ ملابسي، ولم أنتظر كثيرًا حتى مرتْ

الـــ **Ibiza** الحمراء، وها هي فرح توقظ الأحياء والأموات بالمهندسين بذاك الـــكلكس المزعج إعلامًا بقدومها. وقفتْ فركبتُ:

– مش هتبطلي إزعاج!

– حدش ليه حاجة عندنا.

– خد دت اللـــ عربيه من ورا ابوكي (شهيق) كاللللـــ عادة؟

– خد بيّ العرب بيه ممن..

غضبتُ للمزاح الثقيل وحاولتُ النزولَ فاستوقفتني:

– والله لو نزلتي بزعلة، باهزّر.

–...

– والنبي سماح بقى.

- خلاص.

- دا أنا حتى جايبالك الكينج.

- ماشي.

- دوسي play طيب.

"أوعدك.. يووووه.. أشكرك؟.. ولا إيييه"..انفجرتُ ضاحكةً من حركات فرح مع كلمات الأغنية، وطلبتْ منِّي التجاوُبَ معها، ولكن بلا جدوًى.

وصلنا ستاربكس بعد عبور شارع جامعة الدول المنيع. أصبح الخروج في القاهرة مجازفةً غير محمودة العواقب، فإن وصلتَ لمرادك في الميعاد وجبَ عليك ركعتا شكرٍ للمولى، وإن مُنَّ عليك بمكان لتترك سيارتك لَزِمَكَ صلاةُ الدهر كله، وها هي فرح كالعادة لا تَسْلَمُ من وابل السباب والمضايقات عند كل مرةٍ تركن فيها السيارة بشارع مزدحم.

– آجي أركنهالك يا قمر؟

– كفّي نفسك يا رجولة.

دخلنا الـــكافيه أنا وفرح وانضم إلينا "نسرين" و"ندى" و...

"سالي"! فعلى الفور استجوبتْ عيناي فرحًا فردَّتْ "والله مانا تلاقي ندى المصلحجية قالتلها عشان تجيبها بالعربية" زفرتُ ضيقًا وجلسنا. بعد ساعة من النميمة على كل مَنْ يسبح في ملكوت الله، أخذتْ سالي زمام المبادرة التي بدأتْ تتحاكى عن "عمر" خاطبها، وكيف أن الله حقق لها أحلامها وأنه يسهر على راحتها قائلةً:

– عمر حبيبي وعدني إننا نقضي الـــ **honeymoon** في جزر الـــبورا بورا.

لم تتمالك نسرين نفسها فقاطعتها:

– عمر مين؟ انتي يا بت مش كنت لسه كاتبة الـــ **bio** بتاعك على تويتر **nobody dies virgin** بتشغلي الواد؟

انفجرنا ضحكًا فاحمر وجهُ سالي خجلًا ثم تكلمت فرح:

– هو بِغَضّ النظر عن عمر الملائكي، الولاد فعلًا متعبين جدًّا وللأسف ماما مش فاهمة القصة وكل يوم جايبالي عريس.

ثم تسأل ندى:

– لسه بتسحبك في الأفراح بتاعتها؟

- يا بنتي الأمهات المصريات عندهم marketing plan لينا مش هتكِنّ إلا أما تحقق التارجت بتاعها.

- اللي هو؟

- الدِّهُل اللي هيشيل.

انفجر الجميع ضحكًا من تلقائية وعفوية فرح..

- الأفراح دي بتبقى أكبر اشتغالة في التاريخ كمية البُويَة اللي بندهن بيها تكفي واجهة برج 20 دور في شارع لبنان، والزبون يا عيني مايكدبش خبر ويرجع على أمه يريّل ويطّأس مشغولة ولا متسابة (ثم تنظر لـــسالي وتغمز) والجدع اللي يستلقط.

تقصف جبهة سالي لثاني مرة على التوالي في أقل من خمس دقائق فردت ندى:

- بره عنك انتي جواز الصالونات دا يا فرح.

لترد هي:

- مش شرط، نسرين أهي متجوزة صالونات وراضية.

فأردفت نسرين:

- يا روح نسرين طالما فيه براطيش أتلايم عليهم أول كل شهر وأعمل بيهم شوبينج مش هارضى ليه؟ راجل عملي وناجح وباسطني

وأنا مش بتاعة حب ومرقعة فاضية، وبعدين ربنا يخليلي "ناكي" شايلة البيت كله.

- ناكي دي أفريقية؟

- دا على أساس إن احنا أوروبيين!

في هذه الأثناء كنتُ قد بدأتُ في الشعور بالملل فبدأتُ بتصفُّح الإنترنت، فإذا بموقع "المصري اليوم" يبرز عنوان "القبض على أكبر شبكة مخدرات بمصر". انتبهتُ للعنوان فنقرتُ على "القراءة الكاملة" الذي أبرز استهلالةَ المقال: "ألقت مباحث مكافحة المخدرات بقيادة النقيب فارس الدميري القبض على أكبر شبكة مخدرات بمصر، والمفاجأة تتزعمها هند القشاش منسقة حملة بطل هاش..." وبينما أقرأ، استُكْمِلَ الحوارُ بين نسرين وفرح..

- بس انتي قولتي إنه عنَدِي!

-.دي حقيقة هو مابيعتذرش.

- مافيش راجل بيعتذر.

- أنا آسف.

صاحب ذاك الاعتذار بوكيه ورد جاء من خلفي استنشقتُ معه عطر **bavlgari** نفّاذ عرفتُ به هويةَ حامله الذي استطرد هامسًا - وأنا في حالة ذهول تام -:

– عرفتي بقى مشِّيت أفغاني ليه؟ (مشيرًا إلى خبر موقع "المصري اليوم" الذي أحمله بين يدَيَّ)

–....

– استأذنكو رؤى دقيقة يا جماعة.

وقفتُ على الفور لأستمع إليه..

– إيه مافيش مبروك؟

– مب روك.

– مش مقبول.

– ننعم!

– تعزميني على مانجا من فرغلي وأوصلك البيت.

– ايـــ..ـــوا بس..

– يا ستي هابقى أحاسب أنا.

فابتسمتُ وأشرتُ إلى فرح والبنات أني سأرحل. فتح لي باب السيارة وانتظرني حتى ركبتُ، ثم أعطاني الورد والعكاز وأغلقَ السيارة وسط نظرات البنات حقدًا، ثم بدأ الحديث:

– عشان أعرف هابدأ منين، أنا اعتذاري اتقبل؟

– أكيد (مشيرةً إلى الورد).

– كله بيجيب ورا مع الورد.

– هاها.

- عالعموم انتي السبب في دا، ومن غيرك ماكنتش جبت أفغاني، هو انتي مش متفاجأة؟

أتصارعُ الآن مع عقلي الذي انقسم إلى مؤيدٍ ومعارضٍ حول فكرة التصريح بأن رؤياي ترى النور، وأني كنتُ على علمٍ بما سيحدث؛ لذا أجبتُ:

- مش بــ.. ــاين؟

- ولا أي مفاجأة

وفي هذه الأثناء جاءت مكالمة لتقطع الموسيقى ويظهر البلوتوث "**private number**"، فأغلقَ النوافذَ ثم أشار لي:

- ششششش! ألو.

- النقيب فارس الدميري؟

- مع حضرتك يا فندم.

- إنت اتنقلت معانا للجهاز. تقدر تيجي من بكره تستلم شغلك، مبروك يابني.

ظهرت علامات الذهول على فارس قبل أن يرد:

- الله يبارك لك يا فندم، في حفظ الله يا فندم.

ثم توقف فجأة بالسيارة وحملق في وجهي دون أن ينبس ببنت شفة، ثم قطعتُ أنا السكون:

- تا ني مبروك.

- أنا مش مصدق نفسي!

- تســـ.. ـستاهلها.

- انتي كنتي فين كل دا يا وش السعد؟

- اللـــ.. لي جاي أصعب رب بنا يوفقك.

وتركت فارسًا حاملًا ابتسامة كادت تقفز فرحًا من وجهه وانصرف. وما إن طرأتْ قدماي أرض البيت، فإذا بإشعارات واتس اب متتابعة. إنها فرح..

– مين الفشيخ؟!

– عاوزه إيه؟

– اكدبي عليا وقولي إن دا مش فارس.

– الكدب حرام.

– وسيدك اللبلوبي هو؟

– هاها هو.

– طب إيه مالوش اخوات ولاد؟

– seen.

– ايه دا رؤى أنا آسفة والله ماقصدتش؟

– حصل خير أنا أصلًا كنت داخلة أنام.. تصبحي على خير

__Offline__

***

– ما بك أيها المرسال؟ ألا تعلم أن الملك في اجتماع مُهمّ؟

– العفو أيها الملك العظيم، لكني جئتُك في أمر جلل لا يحتمل الصبر ولا الانتظار.

ينحني المرسال على الملك ويهمس بأذنه سرًّا، وما إن انتهى من الإخبارية حتى أكل القلقُ وجهَ الملك..

– ماذا تقول؟! أتعلم فحوى ما لفظْتَه للتوِّ؟

– لقد سمعتُه بكلتا أذنَيّ أيها الملك العظيم.

– خينمي[3]

على مثل حلمٍ استيقظتُ. أحلامٌ غريبةٌ وواقعٌ أغربُ. تواترَتِ الرؤى فتوترَتْ رؤى. غريبة! لم أحلم بجريمة أو شيء مستقبلي تلك المرة! فقط فراعنة قرّروا أن يقفزوا لعقلي الباطن كي يستعرضوا الزي المصري القديم والبلاط الملكي. علمتني رؤياي أن تكون ذات صلة

---

[3] يا للمصيبة !

بحياتي لهذا لا يبدو ذلك مألوفًا. قطع ذلك الاهتمام النِّسبيُّ إشعارات الـــواتس آب، كانت فرح تعتذر للمرة المليون. عفوية فرح تتسبب لها في كثير من الكوارث، فما هو أكثر ألمًا من الذكرى هو أن نتذكرها. لا يكره رجل الإطفاء في حياته إلا إشعال نارٍ قد أخمَدَها للتوِّ، سواءً أكانت بفعل فاعلٍ أم قضاءً وقدرًا، لا يَرى إلا نارًا؛ أيْ عملًا وَجَبَ إنجازُه. نعم ليس من المبهج أن نرقد أعلى تلال رماد من الذكريات لكن مِهْنَة رجل الإطفاء هي الإطفاء.

"أهرب من نفسي أروح على فين".. تسللَتْ بعض أنغام السنت إلى غرفتي فعلمتُ أن جدي ما زال حيًّا يُرزق، وأكدَّ لي ذلك أنفٌ لا يُقاوِمُ تحرشَ رائحة القهوة به صَبيحَة كل يوم.75% من استهلاك الكافيين عالميًّا يأتي من تناول القهوة و99% منها تسكن معدة جدي. يحتسيها سادة دكناء، ربما لأنها تشبهه وتمثله. وحيدٌ، منعزلٌ، قليلُ الكلام وكلاسيكيٌّ من طراز فريد، فتلك النغمات صادرة من قرص أسود عتيق حُشر بعناية في مجرى الجرامافون الذي اتخذ منه جدي خليلًا. تسيطر عليه حالة نوستالجيا تجعله ناقمًا على الحداثة ومُنَاصِريها. لا يمتلك هاتفًا محمولًا، ويستخدم الهاتف الأرضي في مكالماته. أتذكّر أن آخر مرة لمستُ الهاتف الأرضي كان لتوصيله بجهاز الكومبيوتر في صيف الصف الثالث الإعدادي لدخول عالم الـــنت، والتعرُّف إلى أصدقاء جدد من خلال الــMSN و"شات مصراوي". لجدي قناعةٌ راسخةٌ أننا جيل من الحمقى، هواتف ذكية وأناس أغبياء.

عادة ما تكون السادسة صباحًا أكثر الأوقات ملائمةً لأخذ لَوْحَاتِي، ليس للذهاب إلى المرسم، بل للصعود إلى سطح المنزل كي أختلس بعض الرسوم قبل أن يستيقظ حي المهندسين ويمر بائع الـــروبابيكيا بيكيا. دائمًا ما يعشق الرسام النظر من النقطة الأعلى حيث التفاصيل. الوقوف بالأعلى هو فرصة أكبر للحكم على الصورة بحيادية كاملة. ولوهلة تقرر أن تقطع تذكرة ذهاب وعودة إلى عقول المارة. فيمَ يصنعون؟ فيم يجيئون؟ وأين يقصدون؟ المفاجأة أنّي اكتشفتُ أن جميعنا مصابو أفيزيا! فهي باختصار عدم القدرة على التعبير نتيجة صدمة. تتّبع خطّ سيرِ امرأة عجوز أضحتْ عظامُها وهنًا على وهن، وإن دققْتَ بملامحها تجدها تتساءل: أين أبنائي من الآن؟ ثم تنظر إلى السماء نظرةً "إلى من تكلني؟". وبائع الخبز ذاك يمر بدراجته وعلى رأسه قفص الخبز كي يورده لأحد المطاعم، وعيناه على آخر مثل سنه يمر بدراجته حاملًا حقيبة سبونج بوب مسرعًا كي لا يفوته الـ **line up** بمدرسته اللغات والأول يتساءل:

"كيف قُدِّر القدر؟".وبجانب المشتل الذي يحجبه الملحق الثقافي للسفارة الإماراتية، جلستْ وحبيبُها اللذان كَثُرَتْ مُشكلاتهما فأفقدَتْهما القدرة على التعبير، فآثرا الصمتَ من باب التغيير، أفيزيا تعبيرية. كثير منا يحتاج إلى جلسات إعادة تأهيل، ويظل نزيهًا هو الرابح الأكبر.

وفي كل مرة أنْصِبُ لوحتي وأبلل فُرْشَاتِي وأستدعي سلفادوري الخاص لنهرب معًا إلى قطعة سيريالية لا يعلم باطنها ومعناها إلا الله، حتى يراودني حلم الصِّغر، بل حلم كل يوم، معرض لوحات. أسَيَرى النورَ يومًا أم أن ما يتحقق من أحلامي يقتصر على مستقبل الجريمة في البلاد؟ أريد إجابة مقنعة للسؤال، لماذا نعيش ونموت في مِهَنٍ لا تُشبهُنا أو تَمُتُّ لنا بصلةٍ؟ لا يبقى لنا إلا اتباع حكمة بونوكيو: "أَحِبَّ ما تعمل حتى تعمل ما تُحِبَّ". وجدَتْ ريشتي نقطةَ البداية حيثما انتيهنا مُسبقًا. نفس الباب! لِمَ أرسمني تلك المرة بالخارج وليس بالداخل؟ في الواقع أنا لم أرسمني، بل شجرة عتيقة أكل عليها الدهر وشرب، غير جدباء، غنية فروعها وكان هذا بالداخل. أعلى الشجرة كان فروع عدة. فروعٌ هشة وأخرى ثابتة وأخرى كُسِرَتْ. وخارج الباب رسمتُ حمامةً مسلوبةَ الروح وبها وحمة شديدة السواد لا تَسُرُّ الناظرين، وليس ببعيدٍ عنها وضعتُ جرسًا كأنه ينتمي لشيءٍ ما. أما الشجرة فمُلِئَتْ بعُشَشٍ تتساقط ناتجة عن كسر الفروع بفعل فاعل، ولا يزال هناك حمامةٌ وحيدة حزينة تأكل تلك البذور.

* يا للمصيبة!

اعتقدتُ أني انتهيتُ من الرسمة فوضعت ريشتي وأخذتُ لوحتي استعدادًا للنزول، ثم وقفت وهلةً. ونصبتُ اللوحةَ مرةً أخرى ورسمتُ حيَّةً طويلةً تخرج منها يَدَا إنسان، الأولى تعتصر الحمامةَ ذات الوحمة السوداء، والأخرى تمتدُّ ناحية فرعٍ يحمل العُشَّ، بينما الحمامةُ لم تنتبه لأن الحيةَ قد أخذتْ حيطتها وفكتْ الجرس.

في تلك اللحظة بالذات اتصلت فرح..

– آلو.

– انتي لسه مقموصة؟

– لا خلاص.

– فيشتك مِلَمِّسَة أوي يا رؤى بتقفشي بسرعة.

– ممش هنـــ.. ـــغيره على كبر.

– على راسنا يا سيد الناس.

– انـــ..ـتِي رايحة اللـــ..ـبنك؟

– إذا لسه مارفدونيش.

– ومين يـــ..ـلف اللـ clients؟

– ماهو العطلة دي جاية من عنيكو

– يا ستي الله..يسهلك.

– بس مُزّ فارس.

– فرح!

– اسمه فارس ولا فرس؟

– فرح!

– إيه يا رؤى بنهزر.

– مش ف دا.

– ماشي يا قفيش. أنا هاطير بقى. ادعيلي اركن.

– كلـــ..ـميني اما ترجعي.

– أكيد احبيبة قلبي.

– بايظه.

– مش هنغيره على كبر.

– هاها.. باي.

نزلتُ الشقةَ ووضعتُ اللوحات بالمرسم، وبينما أَمُرُّ لمحتُ نوت على الثلاجة: "نزلت أتمشى شوية". اتجهتُ إلى غرفتي حيث لا تدبُّ الحياة عدا عن كتابٍ أحمرَ. يلزمُكَ عدد 1 ليمونة وعَصَّارة كي تستكمل ثاني صفحاته. فتحتُ المذكرات واتجهتُ إلى ثاني صفحات أبي وقرأتُ:

"ما رأيْتهِ بمنامك ليلةَ أمس ليس بخيال ولا أضغاث أحلام بل هو واقعٌ محكمُ الغلق لا مفرَّ منه".

رميتُ الكتاب على إثرها أرضًا. ارتعتُ وسرَتْ في جسدي قشعريرة وظللتُ كالغبية أحملقُ في الغرفة من حولي!

***

"عزيزتي رؤى..

أتخيَّلُ حالتك المزرية الآن، ولكن أعلم أنك لم تجدي ضالّتك في هذه المقدمة المملة لذا وجب كسر تلك الحالة. فما هو أكثر تشويقًا من مشاهدة الموتى يقرؤون مستقبل الأحياء؟ أكاد أرى علامة التعجُّب فوق رأسك من عندي، وأنا على يقين أن بداخل رأسك المسكين من الأسئلة ألفًا أو يزيد. أعلم أن عليَّ أن أوفيَها، ولكن اعلمي مبدئيًّا أن بحياة كلٍّ منا جانبًا غامضًا قررتُ أن أحجُبَه عنك طيلة حياتك كي تحيي بسلام، ولكن كالعادة ابنتي العنيدة لها رأي آخر، وها أنت تحملين منحًى آخرًا لحياتك بين ذاك الكتاب الآن. بحياة كل منَّا مغامرة نعيشها أو تعيشنا، نختارها أو تختارنا. لستُ هنا للشروع في نقاشٍ بيزنطيٍّ: هل الإنسان مخير أم مسير؟ بل طرحًا لتاريخِ المغامرين الأولين، ولكن قبل أن نستهلَّ ذلك فلنبدأ ببطاقة

تعريفك:

رؤى ابنة منير بن الشوّاف بن.. بن.. بن تِتّي بن مِين.

إن دققْتِ في صفات الأسماء فستجدين أن كلها مرتبطة بالبصر أو الرؤية. نحن نرى المستقبل سواءً كان جريمة، حوادث، أشخاصًا، طالما في محيط عقلنا الباطن، وتأتي الأحلام بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

نعم، ليست رؤى الشوّاف وحدها من كانت ذات مِنّة، إن كانت مِنّة! بل السلالة التي ننحدر منها. سأبدأ أولًا بتأويل الحلم الفرعوني. لقد علمتِ من المقدمة أن الهكسوس دخلوا وتوغلوا في شتى مجالات الحياة آنذاك، ولأن مطامع الهكسوس لا حصر لها قرروا أن يزحفوا جنوبًا ناحية طيبة الحصينة والعصية، لذا فكر الهكسوس في طريقة لدخولها دون صراع مع الفراعنة الذين سيحاربون حتى آخر نقطة دم، وعندما بحثوا عن المدخل لم يجدوا إلا طريقة واحدة حتى يستقبلهم المصريون القدماء بالورد والترحاب. فقد لاحظ الهكسوس ولع المصريين بالآلهة والدين والمعبد، وبالفعل وجد الهكسوس ضالّتهم في أحد الكهنة ضعاف النفوس وفاوضوه وفوّضوه لإلقاء خطاب ديني يَلْقَى ترحابًا عند المصريين للهكسوس في جلسة سرية، وبينما تُعْقَدُ هذه الجلسة كان أحد العساسين بالخارج يسترق السمع، وهَرع إلى الملك ليخبره بما سمع، وهذا تأويل رؤياكِ من قبل، لذا اجتمع الملك مع كبار الكهنة، وجاؤوا بأهل قنا لسماع بيانٍ مهمٍّ يختصر عليك الكثير:

Hat- sp 3 xr nsw-bity (nwb-xpr- Ra) Wd nsw.... "

Spty m Hwt- nTr nt Mnty r-ntt dwAt TTy-sAMnty Htp

m di tw.f Hr Hr tA sA m sA sAb n sAb "

استغربتُ كثيرًا تلك اللغة! حروفٌ إنجليزية لكن كلمات دون معنى، وهذا ما أكدته القواميس. ما تلك اللغة؟ وبالتأكيد هي ليست فرانكو، خاصةً أن أبي كان من محاربي فكرة الـــفرانكو بجسارة؛ لا لكونها طمس ثقافة، بل لأنه لم يكن يتوصل لشيء حينما يتنصت على محادثاتي الخاصة مع أصدقائي، لذا هي ليست بـــفرانكو.

وما الحكمة وراء ذلك؟ وإن كنتَ خصصتني أنا دون غيري لأفهمها دونًا عن العربية فكلانا يُتقن الإنجليزية والفرنسية، فلِمَ ليس بأحداهما؟ ومن تتي بن مين؟! من يكون؟! وبينما أتقمص شمبليون وأحاول فكَّ شفرات حجر رشيد، رنَّ الهاتفُ لتذكيري بميعاد مقابلة قد رتبتها لي فرح مع أحد عملائها بالبنك، وهي إحدى الثريات الخليجيات المولعات بسلفادور ومدرسته، فقد اقترحت فرح أن أبيع رسومي لها حينما شكوتُ نزيفًا ماديًّا حادًّا بعد تركي العمل، خاصةً أن جلسات نزيه ما زالت تستنزفني وتحتاج من يموِّلها.

اضطررتُ أن أُنحِّيَ لغزَ أبي جانبًا حتى يتسنَّى لي حضور تلك المقابلة. أرسلتُ واتس آب إلى فرح التي ردت في حينها:

- باقولك هاروح للست الخليجية دلوقتي

Good luck ya mozza-

ارتديتُ ملابسي، أخذتُ لوحاتي واستقللتُ تاكسي حتى الزمالك حيث تقطن تلك السيدة، ضربتُ الجرسَ ففتحتْ لي الخادمة وطلبت مِنّي الانتظار في الـريسيبشن، وأصرتْ أن تُضَيِّفَنِي بمشروبٍ، فطلبت نسكافيه.

كان الـــريسيبشن يعجُّ بكثير من الرسومات السيريالية الرائعة.

جاءت السيدة التي بدت في أواسط عقدها الخامس مُكحِّلةً عينيها كما حال الخليجيات، وشعرها أسود يتدلى حتى خصرها.

بدا عليها الروح المصرية، ربما لطول إقامتها هنا. وبدأتْ:

- كيف حالك؟

– تمام.

– ما جابتلك البنت شي تشربيه؟

– طلبت نسكافيه.

– امم ممكن أشوف؟

أعطيتُها اللوحة التي رسمتُها مؤخرًا (الحية والحمامة)، فكَسَا وجهَها صدمةٌ لم أعلم لها سببًا، وتوترتْ، ثم نظرتْ إليّ في استغراب وكُلِّي دهشةٌ، فقاطعتُها:

– في حاجة؟!

– ها.. لا.. لا مافي شي.. انتي ياللي رسماها؟

– أكيد!

– إيه، باخذ هذي اللوحة.

واشترتْ اللوحةَ، وأصرتْ أن تكون هي أول وآخر زبائني، وأنها على استعدادٍ أن تشتري كل أعمالي السيريالية! ولم تتركني حتى قطعتُ لها وعدًا بذلك. لم أعلم إن كان هذا إعجابًا برسومي المتواضعة مقارنةً بكل الأعمال التي رأيتُها عندها، أم لشيءٍ في نفس يعقوب! حاولتُ ألا أشغل بالي من ردة فعلها، ولكن نظرتَها للصور لم تكن نظرات إعجاب أكثر من كونها استغرابًا، فوضعني ذلك في حالة من الدهشة. حاولتُ ألا أكترث. فتحتُ المصعد الذي يبدو من زجاجه أنه غير خالٍ. أكره ركوب المصعد مع أشخاص عامةً. فتحتُ وكانت مفاجأة..

– إيه دا!

– رؤى؟!

– بتعـــ..مل إيه هنا؟

– المفروض أنا اللي أسأل!

– اشمـــ..ـــعنا؟

– أنا ساكن هنا.

– فعلًا؟!

– انتي بقى بتعملي إيه هنا؟

– با..بيع لِوَح لِسِت خلـــ..ـــيجية هنا.

– اه مدام ليلى. أنا نفسي أفهم الرسومات اللي عندها دي.

– انت بتزورها؟

– ها.. لأ دا كان عيد ميلاد بنتها وعازمة الجيران.

– أها.

توقف المصعد نزلنا وبدأ:

– عاوز أورِّيكي حاجة؟

– حاجة!

عبرنا إلى الجهة الأخرى واقترب فارس من (هارلي) ثم سأل:

- لسه جايبه حالًا، إيه رأيك؟

تمامًا كما هو رأيك في بيكانتو حمراء مزودة بورود ومعلقٌ بزجاجها الخلفي pooh محشوًّا بالإسفنج. لا أعلم لماذا يتوقع منَّا الرجال إلقاء المديح على أشياء ذكورية! هارلي مزود بـــتربو مزعج وخوذة لجعله أشبه برئيس عصابة الرداء الأسود، لا ضابط بأهم أجهزة الأمن.

- عجبك؟

- تحـــ...ـــفة!

وإن كان بونوكيو حقيقةً لاتخذني قدوةً.

وبدأ الهواء يشتدُّ رويدًا. كم يُشبهني طقس القاهرة في أواسط نوفمبر! كلانا متقلب المزاج. وها هو بائع حمص الشام نصير كل الشاعرين بالبرد، وبدون أن يسألني ذهب إليه وأحضر كوبَيْن.

شكرته وجلسنا في حضرة السكون. ظللت أحملِقُ في الـــهارلي وأسأل نفسي: ما الذي استهواك في مثل هكذا شيء؟ ليقطعَ خواطري:

– عشان شبهي.

– إيه...دا!

– بقالك نُص ساعة عاوزة تسألي اشمعنا الـــهارلي!

فاجأتني كالعادة ردة فعل فارس.

– عرفت منين؟

– مش لازم كل الكلام يتقال.

– مت...عاون.

– مثلًا.

– إد..دورك.

– دوري؟!

– تسأل.

– أه انتي اعتبرتي نفسك سألتي!

– واعـــ..تبرت (اعتبرت) إنك....جاوبت.

– ماشي، بس اللعبة مش كدا.

– امـــ...مال؟

– السؤال لو عجبك بنسأل تاني.

– امم ، لليك ف ال...أبراج؟

– على قدي.

– إنــ..ـــت جوزاء...صح؟

– إيه دا انتي مخاوية.

– اه باسحر.

– دي حقيقة.

– ها!

– ولا حاجة اشمعنا جوزاء؟

– فارس إلوقت (دلوقتي) غير...(أخذتُ نفسًا) فارس ال...ظابط

– ما أي ظابط كدا.

– مش أي ظابط جوزاء.

– ومش أي جوزاء فارس.

– إم..ش قولت جوزاء؟!

– هاها وانتي بقى مصدقة الكلام اللي بيتقال علينا؟

– علـــ..ـــليكو..كا..ظباط ولا كجو...زاء؟

- هو في حاجة بتتقال علينا كظباط؟

- هو الـــ..ـــباشا سمـــ..عه تقيل ول..ولا حاجة؟

- نوريني.

- تفـــ..ـــتكر إنت بيتـــ..ـــقال عليكو إيه؟

- إن احنا بشخصيتين، طموحين ومعتزين بنفسنا.

- دا..انـــ..تو..كا..ظباط ولا كجو...زاء؟

- ايه يا رؤى انتي هتمطوحيني ولا إيه؟

- هاها.

- يعني انتي شايفة إن لازم أعرف برجك عشان أعرفك؟

- عا..مل مساعد.

- طب ماتسبيني أرمي الودع.

- اقو..لك برجي.

- لا أنا هاجوّد.

- جوّد.

- بتعشقي النسكافيه، ومحمد منير دا ركن من أركان شخصيتك. كائنة شتوية. عندك فوبيا من الأماكن العالية. رؤى مش سهل تتكلم ودا معناه إن أنا برنس. ممكن تكدبي كدبة بسيطة عشان ماتجرحيش اللي قدامك أما ياخد رأيك في هارلي. بتحبي الأسود والكلاسيك وباحس إن في جانب غامض في رؤى أو وراكي سر انتي حتى مش عارفاه أو خايفة تقربي منه.

- (رفعتُ حاجبَيَّ مبهورة)

"Excuse me! Do you know how to get to club 33"؟

قطع ذاك الإنجليزي الحديث على حين غِرَّة وبينما أردُّ..

أسرع فارس:

" Just go straight a head. It'll be on the left"

-Oh Thanks

-Most welcome

ما فاجأني ليس طلاقةُ فارس في اللغة، بل رفع الحرج عن لساني المتلعثم أكثر من كونه فرصةً لاستعراض قدراته اللغوية وحضور ذهنه.

- صح ولا غلط؟ (سأل فارس)

- وصفت صح.

- باتكلم عن استنتاجي.

أحسستُ بالغباء للحظةٍ، لكن سرعان ما تداركتُ:

- ال..فارس لازم يبـــ...ـــقى دايما واثق.

- انتي صح.

- مش يالـــ...لا؟

- يللا بينا اركبي.

- انـــ..سى أنـــ..ـــا هاركب تاكسي.

- أه انتي ناوية تفرتكي بقى القرشين بتوع اللوحة.

- لا هــــ..يا مسألة ثقة...مش أكـــ..ـــتر.

- انتي كدا طيّنتيها!

- هاها لا والله قصـــ...ـــدي عالـــ..بتاع دا.

– يا ست الكل أنا اللي سايق البتاع دا..

– بس..

أعطاني الخوذة ولا فرصة للتفكير.

– ماتميِّليش معايا.. ماتنزليش رجلك مهما حصل.. اثبتي ورايا.. لو عاوزة تحضني الأسفلت اكسري واحدة من اللي فاتوا.

– طب....إيه الـــ..لي جابـــ..بري؟

– الفضول!

فقط آخر كلمة هي ما أقنعتني!

ركبتُ ولبستُ الخوذة، شبثْتُ يديَّ على جانبيه ثم صوت الـــتريللا الغليظ الذي اقشعرَّ له بدني. كانت الأمور على ما يُرامُ حتى زادت السرعة على الطريق السريع وكوبري **15** مايو فضرب الهواء الخوذةَ بكل قوة. لم أستطع منع ركبتي من رعشة خفيفة أحس بها فارس على الفور، فأشار لي بإبهامه، وراقب ردة فِعلي في المرآة، فأومأتُ برأسي أي "نعم" وما هي إلا بضعُ ثوانٍ حتى توقَّف، ونقر على الخوذة فخلعتُها..

– خايفة ليه؟

– مش خايفة.

– لا خايفة.

– للا...مش خايفة.

ثم ضحك:

– بردانة؟

– اه بر..دانة.

خلع فارس الـــجاكيت في الحال ووضعه حولي واستكمل:

– انتي اللي بتحركي ريشتك وترسمي لوحتك مش هي اللي بترسمك.. واحنا اللي راكبين الهارلي (ورَبَتَ بيده عليه) مش هو اللي راكبنا.. البسي (مشيرًا إلى الخوذة)

– خلـــ..لاص ملهاش..لــ..زوم.

ابتسم:

– ماشي.

أراحتني كلمات فارس بعض الشيء، وبدأتُ أنظر للـــهارلي لا كوسيلة مواصلات بل مغامرة قررتُ أن أعيش تفاصيلها. بدأ يضربني الهواءُ بقوة. لم أقاوم، بل أنعشتُ مسامَ وجهي، وتركتُ الرياح تبعثر شعراتي. تجرأتُ فأشرتُ لــفارس أن يسرع ثم أشار بإبهامه، وبالفعل زادت سرعة الـــهارلي، وزادت معه ضرباتُ قلبي. ما أراه هو ما في مرمى البصر، وعن يميني وعن شِمَالي سراب. إحساسٌ أشبهُ بالتزحلق على الأسفلت.. حرية.. تحرُّر. وما هي إلا دقائق حتى وصلْنا المنزل. انتهتْ فقرةُ العالم الموازي، مرحبًا بِكُمْ على كوكب الأرض. نزل فارس، وعلى الفور استدار وبدأ:

– إيه بقى؟

- كان... فايتنـــ..ـني كـــ..ـــتير.

- بعد كده اللفة بعشه جنيه.

- هاها تصــــ..ـــبح على خير.

- وانتي من أهله.

ثم مشيتُ حتى السُّلم، ولسببٍ ما استدرتُ فوجدتُه متكئًا على الـــهارلي باسمًا صوبي كالأطفال مربعًا يدَيْه ويُمناه تحمل الخوذة، استدرتُ فورًا واستكملتُ طريقي. دخلتُ غرفتي فإذا بإحداثيات واتس اب متتابعة من فرح..

- انتي فين يا مزة؟

- فرح ، انا.. شوفت فارس صدفة ووصلني.

وفي لحظتها اتصلت فرح:

- صدفة دي تبقى خالتك. كُرِّي بقى بالتفصيل الممل:

- إســـ..ـساكن في نفس عمارة أ....الـــ..ـست (أخذتُ نفسًا) وأصـــ..ـر يوصلني بالـــ..ـهارلي ولسه داخ...

- ثواني ثواني وصلك بالإيه يا عنيا؟

- هار..لي!

- أه، قلبي!

– والـــ..له ما كنت هار..كب بس هو..

– باقولك إيه؟

– قولي.

– سكة ودوغري؟

– أه.

– الكلام دا ممكن مايبقاش منطقي.

– ها...

– فارس معجب بيكي.

أغلقتُ الهاتف في وجه فرح التي سارعتْ بـــواتس اب:

– الأكاذيب الجميلة ماتخليناش نهرب من الحقيقة المرة.

رميتُ نفسي على سريري وشَطَطْتُ بأفكاري التي أتتْ بمطرقة وسندان وتابعت أعمال الهدم بحِرْفية تامّة. أريد الآن مساحة تكفيني وحدي فلا أجد. آه.. من يوقف رأسي من دقِّ الطواحين. وبعد خمس دقائق، صحبني اللاشعور لتفقد قائمة الـــواتس اب لسببٍ ما، ثم تفقدتُ فارسًـــــا لسبب ما، لأجده **online** لسبب ما، ثم تفقدتُ الساعة فإذا هي الواحدة. أعدتُ الكرة بعد نصف ساعة لأجده هناك. ألن ينام؟ ألن يباشر عمله في الصباح! تحول عقلي إلى منبه كل نصف ساعة لأجد فارسًـــــا ما زال هناك! عادة لا نتفقد الأشخاص كل نصف ساعة. أنا لا أعلم ما أنوي فعله.. أنا لا أعلم ما أنوي.. أنا لا أعلم.. أنا..

***

استحت الشمسُ أن تتجلى كليًّا فأضاءت نصف وجهي، وأطفأت الآخر. عينٌ بلون العسلي الفاتح، وأخرى بنية، وبالخارج بيتهوفن يعزف مقطوعة دراماتيكية. تسللتُ للخارج كي أَحْضُرَ ذاك الحفل مباشرة فإذا هو البحر يعزف بكمان حزين يذرف دموعه أمواجًا. رغم شكوى أنفي لسفِّها نسبةَ أملاحٍ سدَّتْ فواهتها، فإنها لم تَحُلْ بيني وبينه، فجلستُ لأشكو إليه. على عكس البشر، البحر مستمع بدرجة امتياز؛ ملهمٌ للكلام، لا يقطع حديثَك وتأتي ردودُه على هيئة أفعال؛ فعوَضًا عن المحفزات الاصطناعية بمحاضراتِ التنمية البشرية، البحر يدغدغُ أخمصَ قدمَيْك فتضحكُ دنياك من حولك. عوَضًا عن هؤلاء الذين نشحذُ أوقاتَهم كي نتمشى معًا، البحر لا يكل ولا يمل، وحين نضغط عليه كي يفيض حزنًا يُعلِم النشراتِ الإخباريةَ أولًا: "أنا سأبكي" كي نَهْرعَ إلى مأوًى فلا يجرحنا كلامُه. صفاتٌ ليست بِبَشَرٍ جعلتني أشكو إليه. شكوى من دون صكوك

غفران، وكأن للغفران صكوكًا! وقبل أن تُدمن أنفي الأملاحَ، وأُهرعَ إلى المصحات، ذهبتُ إلى الداخل حيث كان هو. يتزيَّنُ أمام المرآة. اقتربتُ منه فإذا هو في حُلَّتِه الميري، يقوم بتلميع الكتافة التي تزينها ثلاثُ نجومٍ ذهبيةٍ. ذهبتُ خلفه مباشرة وأخرجتُ ذراعَيْ الباندا التي تشتاق لأحدهم كي تعتصره فقدانًا لحنان ما، واحتويتُه كما أردتُ دائمًا أن يحتويني، ولكن لا رد فعل، حضن الميئوس واليائس، وكأن تلك الباندا تحتضن فزاعة الغربان في حقول كاليفورنيا، وبيد مرتعشة تحركتْ يداي ناحية قلبه لأجدَه متوقفًا عن الحركة. استدرتُ لأجدَ بِزَّةَ فارس ووجه سيف!

ثم اسيقظتُ..

في فزع وقلبي ينتفض مكانه، وكأنه سجين قهريّ له. فقط سقف البيت ذو الشرخ المتأصل هو ما أكد لي أنه حلم، أقصد كابوسًا. هدأتْ حواسي فهدأتُ معها. لِمَ يتلاعب بي عقلي الباطن؟ ولِمَ أصلًا مثل أفكارٍ في عقلي الباطن؟ مهلًا.. عقل! هذا لا يَمُتُّ للعقل بصلة! أكره أن أكون دراما كوين، ولكن هذا ما أنا عليه. أوليس النسيانُ رحمةً من الله؟ أولم يُسَمِّ الله الإنسان إنسانًا للنسيان؟ أم أني دون حصة زهايمر العالم؟ أشعر بالشفقة على هؤلاء الحمقى الذين يكثرون من تناول الأوميجا 3 كي ينشطون ذاكرهم منعًا لنسيان أشخاصٍ وأسماءٍ.. حمقى. حسنا سأَدَعُ الأيامَ تقرر، وكأن الأيام من يقرر.

أمسكتُ الهاتف فإذا برسالة غير مقروءةٍ عبر الـــواتس اب:

بالطبع فرح التي لا تكل ولا تمل من ملء رأسي بفِكرِ إبليس.

أدخلتُ كلمة المرور فإذا هو إبليس نفسه. رسالة من.. فارس!

حاولت توقُّع فحوى الرسالة.. فارس لا يُتَوَقَّع. فتحتها فإذا هي صورةٌ مشوشةٌ وجب تحميلُها لرؤيةٍ أوضحَ. نقرت **download** ومرّتْ ثواني التحميل سنينَ ضوئيةً حتى ظهرتْ. كان ظَهْرًا عَضَلِيًّا برونزيَّ اللون يثير كل ما هو خاملٌ لأحدهم على جانبَيْه آثار أظفارا! فقط كلمتَيْن أدنى الصورة "بردانة ها؟!" لم أفهم. هل هذا فارس؟

وما هذه الخدوش. أوه يا إلهي! تلك أظفاري المرتعبة ليلة أمس وها قد تركتْ الضحيةُ بصمتَها على الجلاد. لهذا ضحك حينما سألني بالأمس إن كنتُ خائفةً ضحكةَ الأم حينما تقسم لها أنك لم تأكل الـــنوتيلا، بينما شفتاك لهما رأيٌ آخرٌ. **Seen**.. لم أردِ واستأذنتُ جورج قرداحي أن أستعين بصديق، فسألني: "مين بدك تحاكي؟" بالتأكيد فرح أستاذ جورج.. **screenshot** إلى فرح التي يبدو أنها في موعد الـــبريك الرسمي الذي يبدأ من التاسعة صباحًا حتى الخامسة مساءً..

– ودا يتقالو إيه دا؟

– أوبا! لا دا مايتقالوش.

- أنا غلطانة إني باكلمك والله!

- هاخلص الـshift واعدي عليكي.

وحتى قدوم فرج، أقصد فرح. رجعتُ إلى المذكرات، بالضبط مكان ما استوقفتني تلك الصفحة الغامضة ذات الـلوغاريتم اللعين. قرأتُها مرارًا وتكرارًا، بلا جدوى. ثم قررتُ أن أتجاهل تلك الصفحة والذهاب إلى الصفحة المقابلة، فقُمْتُ بفَكٍّ ثنية الصفحة حيثما توقفتُ مؤخرًا، فلمحتُ شيئًا مكتوبًا بخط رقيق دققتُ وقربتُ الكتاب فإذا بكلماتٍ عربيةٍ تلك المرة:

"حيثما قتلته البعوضة".

هل يتعامل أبي معي بالألغاز؟ أخشى أن يرسلني في مهمة سرية لكشف هوية أحدهم في متحف اللوفر ويرافقني السيد لانجدون!

سحبتُ الهاتف وسألت السيد google فأتى لي بدلًا من الرد الواحد بالمئات. كلها عن أشخاص ماتوا بفعل البعوضة، وأشهرهم الإسكندر المقدوني. عدتُ مرة أخرى وأحضرتُ مكبرة (المعظمة) وقرأتُ حوافَّ الصفحةِ بها لعلّني أصلُ إلى كلمةٍ هنا أو حرف هناك. بلا جدوى.. حيثما قتلته البعوضة! أي بعوضة؟!

ومن قتلتْ؟! وما علاقة الحشرات بمذكرات أبي؟! وما هذه اللغة في تلك الصفحة أصلًا؟! مهلًا تذكرتُ! تلك نفس الحروف التي لمحتُها بغرفة القبو.

نعم هي. لم تكنِ الصورةُ واضحةً، ولكن أتذكّرُ حينما تسرَّبَ بصيصُ النور إلى الغرفة أظهر تلك الحروف. ما المغزى من هذا النصّ؟ ما معناه أو أين أجد ترجمة هذا النص؟ أكثر من **100** لغة على **google** لم تعطِ إجابةً

"اتفضلي يا فرح يا بنتي" صوتُ جدي آتٍ من خارج الغرفة. خرجتُ لأجدَها. نظرتْ لي باستياء حينما وجدتني بالـــبيجامة:

– انتي مش لابسة ليه؟

– إحـــ.ـــنا قلنا هنـــ.نخرج؟

– وأنا جاية أطلب إيدك من جدك. خشي البسي يا رؤى.

– طب ها..أخش..اخد شاور وا...واطلعك (أطلعلك).

– بلاش مرقعة الله يباركلك.

تركتُ الموبايل في الـــريسيبشن ودخلتُ أغير ملابسي. أسمعُ من الداخل رنات واتس اب متلاحقة، ثم سمعتُ فرح قرب باب الحمام "رؤى أنا في العربية". على عجلةٍ ارتديتُ ملابسي، وأخذتُ الهاتف ونزلتُ آملةً ألا ينفجر ذاك البركان الياباني في وجهي، فـــفرح تكرهُ الانتظار ككرهها لـــكوبري أكتوبر. نزلتُ أرتبُ اعتذرًا مقبولًا لأجدَه باسمًا لي كما تركتُه آخر مرة.. فارس! أين فرح؟! وجُنَّ جنوني حينما أشار إلى الساعة أي: تأخرتِ! تأخرت. اقترب مِنّي..

– إيه يا بنتي مالك؟ شفتي شيطان؟!

– فيـــ..ين فرح؟

– فرح! فرح مين؟!

– هو..وا فيه إيه؟!

– هاها أنا اللي باسأل والله (قالها ضاحكًا) اتفضلي اركبي (ليس الـــهارلي تلك المرة).

فتحتُ وركبتُ في بلاهة تامة. فتحتُ الـــواتس اب لأستفهم من فرح فأجدها **offline** ورسالة غير مقروءة من فارس. فتحتُ لأجد محادثةً بدأتُ أنا بها!

– إنت فاضي؟

– ولو مشغول!

– أنا زهقانة جدًّا.

– تحبي أعدي عليكي؟

– قدامك كتير.

– ربعاية بالظبط وأبقى عندك.

– أوكي استناني تحت وهانزلك.

– أوكي.

يا بنت اللـــ... سأقتلك يا فرح. تمنيت أن أنصهر مثل معدن الغاليوم. توترتُ وظللتُ مُحملقةً لوجه فارس وأحكُّ رأسي الذي عَلَتْه علامةُ تعجبٍ، وزادتْ السخريةُ حينما بدأ حديثه:

– ها يا ستي ليه ملّانة؟

حينها راح كل القلق والتوتر ووجدتُني انفجرتُ ضحكًا..

– هاهاهاها.

– إيه دا؟

– هاهاهاها..مش قد قاد...رة!

بدأ يضحك هو الآخر:

- طب ضحكيني طيب.

- لا كفايـــ..كفايه أنـــ..نا.

- هاهاها ، طب أنا عاوز أوديكي مكان بحب أروحه.

- انـــ..نت بستأ..ذن هاهاها.

- هاها أطلع يعني؟

- أط..لع يا جدع هيـّـ..ه جت عد دي (على دي).

- هاها أنا والله ما فاهم في إيه بس اشطه.

حالة هيستريا من الضحك حطَّتْ عليَّ لتغيِّرَ مودي تمامًا. حسنًا لنكن منصفين، أحس بنشوة ما مع ذاك الكائن الـــفارس رغم دوامة أبي التي رُميتُ بها، تلك حالة بهجة مضادة. رغم الأفيزيا المعيقة وحروفي المتلعثمة والمتناثرة هناك، لا أتوقف عن الكلام فلا أحسُّ بالنقص. أسوأ ما في فارس أنه مثالي ولكن.. ألا لعنة على تلك الـــ"لكن"! وماذا عنك يا فارس؟ فيم تفكر وكيف تحسبها؟

حسنًا، سأكفُّ عن تلك الدراما، وأَدَعُ لك دفة القيادة.. وكأن هذا اختياري. هل ستكون أنت عمر خيرت وسأكون أنا الناي والبيانو والكمان، وسأخْرِجُ لحني كما تريد أنت؟ على اعتبار أبيَ لا أريد ذلك! مشوشةٌ أنا كتلفاز عتيق انقطع عنه البث ولا يستقبل إشارةً، وإن استقبل فلا تعبر نظرا لأفيزيا وقدرات لُغوية منقوصة.

دراميٌّ كفايةً؟ هيا اخرسي واستمتعي.

– رؤى.

– ها!

– شكلك تحفة وانتي سرحانة.

ابتسمتُ في خجل ثم نظرتُ من حولي..

– إحـــ..نا واصل..نا؟

– من زمان بس مارضتش أقطع دوبارة أفكارك. انزلي.

نزلنا ومشينا حتى كابّوت السيارة وجلسنا..

– إنـــ..نت خا..طفني..فين كده؟

– الهضبة الوُسْطَى، المقطم.

– همم

– إيه رأيك؟

– ملــ..ــهم جدًّا.

– أنا فعلًا باجي هنا عشان أشحن.

– أنــ..نا ما جتــ..تش هنا قبل كده.

– يبقى فايتك كتير.

– إنــ..نت عارف..أكــ..ــتر.

– المعرفة وحشة لو مشيرهاش.

– إنــ..نت متــ..ــعود تشير كل...حا..جة.

– مانا مستغرب.

– مســـ..ــتغرب!

– إن أنا مش متعود أشير وغير كدا..

سكتَ، فـــــ.. سكتُّ.

– فارس.

ابتسم نصف ابتسامة:

– انتي عارفة إن دي أول مرة تندهيلي.

- في مشـــ.ــكة... كلة.

- إيه المشكلة؟

- انت!

- أنا؟

- أنا عايــ.ــزة أرسم. لو أعرف إن المكان كدا كنت جبت لوحة

فجأةً وبدون مقدمات، ركب فارس السيارة، ورجع بقوة إلى الخلف، وتوقَّف وأشعل نور السيارة ليضيء كل المنطقة بتلك الإضاءة. هل ستدهسني وتتخلص مِنّي لتطفئ شمعةَ صراعك؟ لهذا أتيتَ بنا إلى هنا! فتحَ حقيبةَ السيارة وأخرج منها تابلوه وستاند وعدة رسم كاملة، ووضعها أمامي مباشرةً!

- إيه دا؟!

– عارف إني خارج مع فنانة والناس دي حكماها دماغها.

قاومتُ نظرة انبهاري وسألت:

– جر..بت تر..سم قبل كده؟

– انتي إيه رأيك؟

– – طبـــ..عا بتعـــ....عرف ترسم....و تكتـــ....تك و.... تمخمخ.. انـــ..نت رسام.

– هاها أنا بارسم الواد أبو راس وبطن ورجلين.

– دا stickman مش رسم!

– عملي طب انتي عارفة إن أقصر طريق بين النقطتين خط مستقيم.

– أيـــ..ـــوا بس الـــ..ـــوا..قع مش كدا.

ثم نظرتُ لوجهه مباشرةً:

– إزاي؟

– عا...رف إيه الـــ...لي عمـــ..ملي؟

– إيه؟

– يبـــ..ـــقوا.. نقـــ..ـــطتين على نفـــ...فس ا..خط وبـــ..ـــبينهم أمـــ..ـــيال وسـ..ـــنين ضوئية.

ظللنا ناظرين كنقطتين على نفس الخط بينهم أميال وسنون ضوئية، نظرةٌ دون أي ملامح، ثم ذهبتُ إلى الـــتابلوه ووضعتُه:

- اتـــ..ـــرسمت قبل كدا؟

- عمري ماترسمت.

- النهارده هتترسم.

لم أكن أنا صاحبة قراري، ولكني مالكة إحساس الرغبة في رسم أحدهم. لا نعلم في أي جزء منا يقبع ذاك الشخص؛ العقل أم..غيره! أنا لستُ محترفةً تمتهن رسمَ الأشخاص لمقابلٍ مادي أو أملك booth في مول سيتى ستارز وأُقَلِّبُ رزقي من المارة. أنا مَنَ طلبت رسم فارس لذا وجداني هو من يرسم، خواطري وعقلي الباطن هو من يتحكم في ريشتي، ويداي هما أداة تنفيذية لا ناقة لها ولا جمل. أنا لا أرسم فقط لهروبي من تلك الأفيزيا، بل أرسم لأني أجد نفسي في حضرة الـــتابلوه والريشة. أنت.. هناك.. ماذا تفعل بحق الله أو ما تنوي فعله؟! أتفهم من أنا؟! أتعلم من أكون؟ نعم أنت ضابط مخضرم، إذن على درجة عالية من الوعي أنك تتقرب من أنثى مجروحة مكسورة لفقدان حبيبها (الذي كان حبيبها) وهو أخوك. هل تدرك

ذلك؟! هل تدرك أنك تتقرَّبُ بسرعة الصاروخ؟ هل تعلم أني مشتتة! هل تعلم أني أحب الحديث معك؟ وفي تلك اللحظة بالذات تخرج الذكرى لتستجمع قواها وتصفعني، كمَنْ لم تُصفع من قبل فأذهب في غيبوبة لا تطول لأنك تظهر في تلك اللحظة بالذات كفارسٍ يمتطي مهرة أخيه المرحوم. هل نسيتَ عقلك في ثلاجة الأيس كريم؟!

أنتَ تُحرِزُ نقاطًا بسرعة الصاروخ. فتحتَ رصيدًا بنكيًّا وتغمرني كل يوم بـــشيكات إيداع كيلا أفكر مطلقًا في غلقه، وماذا عني أنا؟! لا تنتظر ردة فعلي أصلًا. أعلم ما تفعل أيها الإبليس، أنت تجردني من أي ذرة تفكير، وتعزف أوتارك على هرمونات العاطفة الأنثوية بدقة وحِرْفية موزارت. أتعلم؟ أنت تُبْلِي حسنًا، وها هي الرسمة انتهتْ.

– أنا تمّلت.

–..

– رؤى!

– ها...

– ها إيه؟ خلصتي آجي؟

– فار..رس رو...وحني.

– نعم!

واقتربَ مِنّي:

- رو..وحني حالـــ..لًا.

- طب اوكي، ممكن طيب أشوف؟

- لا.

- لا؟!

- فار..رس عاو..وزة المـــ..ـــشي.

- طب وريني رسمتي إيه.

وقرَّبَ يدَيْه من الرسمة لآخُذَها ناحيتي وأمنعَها عنه.

- يا رؤى في إيه؟ ورِّيني!

- لا مش ها...ور...ريك.

- هو إيه اللي مش هاوريك.. وريني!

وانتزعَ مِنّي الرسمة، ثم حلَّ الصمتُ على المكان، وزادت أنفاسُنا بينما بؤبؤ عينِ فارس ثابتٌ على الصورة، صورة المرحوم.. سيف!

***

-.....

-.....

وطال السكـــات، وكأنه يُغني عن الكلام. خدعوك فقالوا: "السكوت علامة الرضا" وهو ما يرفضه رضا شكلًا ومضمونًا. في بعض الحالات يكون السكوتُ الهدوءَ الذي يسبق العاصفة عاصفة لن ترحم لا طفلًا ولا كهلًا. أعتذر أن أعتذر يا فارس، فقد سددْتَ لي كل طرق الهروب. رميتني ببحر وأخذتَ معك كل طوق للنجاة. محبط؟ مشوش؟ مخذول؟ أهلًا وسهلًا في كوكب الأنا حيث المصارعة الرومانية بين العاطفة والمنطق هو البرنامج الأعلى نسبةً في المشاهدة هنا. هل أطلقت لتوي رصاصة الرحمة على آخر مغامرات روبين هود أم في جعبتك المزيد؟ مغامرة غير محمودة العواقب نهائيًّا. ربما لا يروقك الأمر، ولكن أنت من حضَّرْتَ العفريت! انكبَّ على تارة القيادة وشكايي لعلبته الـــدافيدوف سيجارةً تلْوَ الأخرى، ولم يجد ضالته في نيكوتين أي منها، فأحرقها جميعًا. ماذا ستكون أول

كلماتك؟ كيف ستصُبُّ أولى لعناتك؟ أكرِهْتَني كفايةً؟ أوَصَلَكَ ماذا يحجب بداخله ذاك الأفيزياوي اللعين؟ استمر بالتدخين إذًا. لم ينظر إليّ منذ أن ركبنا، وهذا يختصر الكثير. سرنا وطال الطريق حتى توسلتِ السيارةُ إليه أن ينتهي فانتهى، وبمنتهى القسوة رفع المكابح حتى كِدْتُ أحتضن الـــتابلوه ودار الحوار:

- (نفس عميق).
- (نظرتُ للأرض خجلًا وطرفُ عيني يتأملُه).
- (زادَتْ أنفاسُه رويدًا وسبابة يَدِهِ اليمنى تضرب على التارة).
- (أزحْتُ عددًا من خصلات شعري).
- (زفر ضيقًا ثم نظر إلى المترل أي: "وصلنا").

في هذا الوقت بالذات، ذكرني سكوت فارس باحتضار سيف. كل الفرق أن فارسًا آثَرَ الموت البطيء وكأن الأخوَيْن عقدا بروتوكول تعاونٍ في تعذيبي مع تغيير الـــتكنيك لمراعاة حالة الضحية ليس إلا. أه، واختلاف نوع التبغ طبعًا! وبلا مقدماتٍ:

- باي.

ونزلتُ من السيارة دون أي نظرةٍ خلفي. لم أسمع محرك السيارة، ولكني لن ألتفت. صعدتُ سريعًا، وفتحتُ الـــشرفة لأجده خارج السيارة مُحملقًا ناحية الشُرفة، وكأنه ينتظر خروجي! ورحلَ وليتَه... رحل.

بعد ثلاثة أيام..

وفي زنزانة VIP على خلاف بقية الزنازين حيث التلفاز، الثلاجة، الهاتف.. وخدمة فايف ستارز حيث يُمَنِّي أي شاب مصري نفسه أن يسجن، فُتِح البابُ ودخل ذاك المُلثَّم ضخم الجثة، فارتعدتْ وما إن تفوهَتْ:

– إيه دا!! انت ميــــــ..؟

حتى لفظت أنفاسها الأخيرة قبل أن تلفظ النونَ حينما انقضَّ عليها بمنديله الورقي المخدر.

انتهيتُ من سرد حلمي الغامض أمام المرآة تلك المرة؛ حيث أراد نزيه الذي كان بجانبي وعيناه لم تُفارِقا المرآة. تمرينٌ يقوم به لملاحظةٍ أكثرَ دقةً لمخارج الحروف وحركات اللسان والشفتين.

– ملامحها ماكنتش واضحة؟

– لا.

– شاكة في مين؟

– معـــ..ـــرفش.

– رؤى!

انتبهتُ.

– اسمها إيه الست اللي فارس قبض عليها واترقى في قضية الشبكة؟

– هنـــ..د القشـــ..شاش؟ فعـــ..لا!

– ممكن جدًّا.

– بس مـــ..مين ليه مصـــ..ـــلحة؟

– أكيد مسنودة وصاحب العكاز عازو.

– طب والـــ..ـــعمل؟

– بتفكري في إيه؟

– مش قاد..رة أفـــ..كر.

– قدامك سيناريوهين.

– يا اكـــ..ـــتم.

– يا تقولي.

– أقول؟!

– قوليلي أخبار الثقة بينك وبين فارس إيه؟ بتتكلموا أصلًا؟

– P..pass

– ليه!

– pass

– دا مش دور استيميشن يا رؤى.. الموضوع كبير

–...

– في حاجة محكتيهـــ...

– الــ..جلسة خلـــ..ـــصت يا دكـــ..ـــتـــ..ـــور؟

(وزفرتُ ضيقًا).

– طب اهدي خلاص اقعدي.

وجلستُ على مضضٍ

– اعتبريني بابا.

– ها (بسخرية).

– ليه الـــ ها!

– ابـــ..بو المـــ..ـــشاكل انـــ..نت لو قا..ريت نـــ..نص كا مل لـــ..ـــغة غو..ربية في مو..ذكـــ..رات أبوك و..........(نفس عميق) وما..فيش تو..جمة جابته....وبـــ..ـــخط النـــ..ـــملة ما تخد...(ما تخدش) بالـــ...لها منه حيـــ..ـــثما قتـــ..لته البـــ..عوضة.... هيـــ..ـــجيلـــ..لك إيه؟

– هيجيلي هرش.

– هاها.

– هاها.

– امم تقيل أوي بابا.

– طب..ليه الالـــ..ـــغاز؟

– قريتي دافنشي كود يا رؤى؟

– لا متـــ..ــقول..ليش بابـــ..ا..ما..سوني؟

– هاهاها.. مش قادر.

ضحكتُ أنا الأخرى على تلقائيتي البلهاء.

– لا مش قصدي بس قصدي في حكمة ورا اللغز (قالها وهو يتقطع ضحكًا).

– أنـــ..نا فكـــ..ـــرت حل اللـــ..لغز ده في جمـــ..ـــلة.

– متوالية قصدك توصلنا للحل.

– بالظبط.

– وبعدين؟

– Google جابـــ..بلي قايـــ..مة أسمـــ..ماء ناس..ما..تت بالباعوض وأشـــ..ــهرهم الاســـ..ــكنـــ..ـــدر المقـــ..ــدوني

– اسم الإسكندر المقدوني؟ وبعدين؟!

– مكمـــ..ملتش بحث فـــ..فرح كلمـــ..متني ونـــ..ـــزَلت.

– نزَلت؟!

– أه!

– إنتي اسكندرانية؟

– بـــ..تاخد بالك انـــ..نت من حا..جات غريـــ..ـــبة يا دكتور ،أنـــ..نا متـــ..ـــربية في الـــ..قاهرة و..ما..قعد..ناش كتير في شقـــ..قة اسكندرية عشـــ...

– إيه يا رؤى سكتي ليه؟

– النـــ..نص الـــ...غامـــ..مض....حيثما قتـــ..لته الـــ...بعوضة....شقـــ..ـــة اسكنـــ..ـــدرية!

***

حسنًا أبي، لقد قررتَ ألا ترقد في سلامٍ. حسنًا هناك الكثير من الـــ "ماذا لو؟!" ماذا لو لم أقرأ مذكراتك عن تاريخ السلالة الأسود في الأحلام والجرائم؟ وأيضًا الأحلام الفرعونية! ماذا لو لم أثْنِ مصادفةً الكتابَ عقب بنائك جدارًا عازلًا من فولاذ بنَصٍّ لعين لم يسمن ولم يغنِ من جوع؟ ماذا لو لم ألاحظ الـــ "حيثما قتلته البعوضة"؟ ماذا لو لم أصادف أن أحكي لـــتريه في عفوية تامة فيلاحظ جذور لهجتي البحري، وأستلهم منه وأتوصَّل أن الحل في شقة الإسكندرية؟ مهلًا! ماذا لو لم أنكث بوعدي، ولم أفتح باب القبو من الأساس؟ ماذا لو لم أرسم؟ ماذا لو لم أرَ أنا رؤى الرؤى؟

ماذا لو أن الموضوع أبسط من ذلك كله ولا حاجة لكل ما أفعله؟

وها قد اقتربنا على أية حال.. إسكندرية 20 كم.. كيلومترات هي ما ستَبُتُّ في جُلِّ الأمر.

وعلى صعيد آخر، ولأن هذا الكم لا يكفي من ضغوط، هناك من يقوم بـــفشخ أفكاري فشخا. أخذ إبرةً وخيطًا ومارس هوايته المفضلة فظل ينغزُ في عقلي الباطن والظاهر وغزة وراء وغزة حتى عَزَلَه عن منصبه وجرَّده من مَهَمَّة ضخ الأفكار. أتعلم؟ لن أظل في تلك المنطقة الرمادية بين الأبيض والأسود.. بين الـــ اه والـــ لا.. بين الـــ ممكن والـــ ربما. لماذا؟ لأن الحياد خيانة. لأنكَ لستَ أفضلَ من أخيك على أي حال. كما كان هذا يكون. استغللتُ ثورةَ هرمون الشجاعة وأخرجتُ على الفور هاتفي. رسالة إلى فارس: "أنا آسفة.. ماينفعش" شعور رائع.. شعور لا أنثوي.. قوية المرأة حينما تقسو، ولمزيد من النشوة والجسارة أغلقتُ هاتفي كي أنفصل عن الواقع ولو سُوَيْعَاتٍ، وانطلقتُ بسرعةٍ أكبر لأَدَعَ الهواء يُعانِقُ شعري، وأعانقَ أنا طريق مصر إسكندرية الذي قارب على نهايته. لعبتُ آخر بلايليست ليخرج الكينج برأيٍ مغايرٍ:

قلبي مايشبهنيش فعلا مايشبهنيش

في الحب والإحساس وفي اختيار الناس

بيمشي على كيفه على كيفه كتير وميقوليش

...

قلبي مايشبهنيش

وصلت الإسكندرية في وقت قياسي. يـــاه لم آتِ إلى هنا منذ زمن. الساعة الآن **7:00** صباحًا وها هو ذاك الرياضي يجري على الكورنيش كي يحافظ على سمانته والخلفية، وذاك الصياد يُمَنِّي النفسَ بـــغدوة بحري لعائلته اليوم جالسا على صدادة أمواج كُتِبَ عليها جيبها جمايل يا رب، وبقرب الأمواج جلس حبيبان التصقا ببعضهما البعض، وبشارع داخلي هناك عربة الفول الإسكندراني، يعيد البائع النقود للمشتري معللًا "استفتاح يا صاحبي شوفلنا اتنين جني فكة".

محظوظٌ هو كل من يقطن تلك المدينة، وبالأخص الرسامون، الكُتَّاب، المخرجون.. ولكل ذي إلهام؛ فالإسكندرية خير مقصد.

اقتربتُ جدًّا من البيت على ما أظن. قليلًا ما قضيتُ أيامي هنا. وها قد وصلتُ. بغَضٍّ النظر عن دهان الواجهة المتساقط عن كل العمارة، بغَضِّ النظر عن الأبراج التي شُيِّدَتْ ليلعنها قاطنو صَفِّ العمارات الخلفي، بغَضِّ النظر عن النفق المبني قربَ أول الشارع، بغَضِّ النظر عن المَحَال التي على جانبَيْ الطريق، بغَضِّ النظر عن تحول المنطقة إلى موقف سيارات ينظمه الـــسايس الذي يهرول ناحيتي..

لا شيء تغير!

- هتبيتيها ولا طالعة تاني امدمازيل.

- طالعـــ..عة تاني.

- ماشي است الكل.

ركنتُ السيارة وصعدتُ الدَّرَجَ المُتهالك ذا الحوائط المتشققة، وكأن من يسكن هنا أشباح! أين سكان العقار من كل ما لحق به؟

أم أن مشقاتِ الحياة حدَّدَتِ الجمالياتِ بالدَّرْكِ الأسفل من الأولويات. وصلتُ إلى الشقة. بابٌ خشبي ذو آثار الطلاء الأخضر وصدعٍ من المنتصف. أخرجتُ ميدالية المفاتيح تشبه تلك التي يمتلكها "بهجت الأباصيري" في "مدرسة المشاغبين". حسنًا حان الآن التعلم عن طريق المحاولة و الخطأ. أيٌّ منكم يفتح هذا الشيء؟ أخرجتُ الأول وكانتِ المفاجأة. كالون غير تقليدي ذو فتحة دائرية! لن يدخل أيٌّ من تلك المفاتيح فيه. أخرجت كل المفاتيح. لا يشبهه أيٌّ منها. تلك أول مرة أرى قفل باب شقة بهذه الطريقة. هل قطعتُ قرب الـــ200 كم لأتعرف على أنواع الـــكوالين وأعود أدراجي!

ميدالية تزيد عن الـــ20 مفتاحًا وغريبٌ يقف أمام بابٍ يفكر في الدخول، كيف يفسر أحد السكان هذا المشهد؟! يجب أن أدخل الآن. لماذا يا أبي تزيد المشهد تعقيدًا؟ هل أدفع ذاك الباب دفعًا؟

بالطبع لن أفعل. انخفضتُ مرة أخرى أحاول أن أرى عمق القفل، ليتدلى مفتاح الحياة، ويضرب في الباب. لفتَ نظري فواهةُ مفتاحِ الحياةِ من الأسفل وكانت المفاجأة..

كلاهما متطابقان! دائري وثقيل.. حسنًا ما سأفعله الآن هو قمة البلاهة. خلعتُ قلادتي ودسستُها في الباب ليدخل المفتاح بالكامل!

ها..! أدرته لليمين فسمعت الـــ تك.. ثم فُتح الباب.. فعلًا؟!

مفتاح الحياة = مفتاح شقة الإسكندرية؟! أنا أرتدي مفتاح شقة الإسكندرية منذ السابعة؟ أبي لِمَ كل هذا؟! لِمَ أنا؟! لِمَ أنا بالذات؟

ماذا بالداخل؟ هل شقة الإسكندرية هي الحياة؟ ما الرسالة إذًا؟

حسنًا، لن أسأل كثيرًا، وسأَدَعُكَ تأخذُ زمامَ الأمور، ولكن اعلم أني أنتظر إجابات في غاية المنطق. دخلتُ أبحثُ عن الكنز أو هكذا خُيِّلَ إليَّ.

ملاءات مهترئة تحجب أثاثًا عتيقًا يكون مفخرةَ الأسرة الثانية عشرة إذا وُضِعَ بالمتحف المصري. تركتُ الـــريسيبشن أو هكذا كان يومًا، وذهبتُ لتفقد الغرف والسعالُ هو ما يرافقني. أطلقتُ

لتوي سراحَ هواءٍ تم اعتقاله لعقود من الزمان. فتحتُ النافذة فحررتُ الكتمة. رأتِ الجدرانُ المتشققة المتصدعة نورَ الشمس فصلّتْ للمولى ركعتي حمدٍ وشكرٍ. منزلٌ يائسٌ كرضيع تركتْه أمه أمام مسجد النور بالعباسية واختبأتْ بفعلتها في الضواحي. كل الغرف لها أثاث مغطًّى، سواء كومود، مكتب هش، طاولة تَغَذّتِ القوارضُ حتى امتلأت بطونها على خشبها الزان. بدأتُ برفع الملاءات لأجد ذاك الأثاثَ ولا شيء آخر. أمعنت في البحث، لأجد مجموعة من الكتب التاريخية عن اللعنات ونصوصها، وأخرى عن الهكسوس وتاريخ مصر الفرعونية وطيبة! فتحتُ كل كتاب وبدأت أتصفح سريعًا. كلها معلومات تاريخية ولا شيءَ بخط يد المرحوم.

جدرانٌ خالية من أي نقوش. كل الغرف بلا نقوش. مرَّتْ ساعات وخرَّتْ قواي فانبطحتُ أرضًا ثم لمحتُ بلاطة بارزةً عن الأرضية فهللتُ فرحًا وبصعوبة أزحتُها من مكانها حيث أخرجتُها.. لا شيء!

فأخرجتُ اللواتي بجانبها واحدة تِلْوَ الأخرى بحثًا عن أي ضالة حتى انهرتُ تمامًا، وبكيتُ لا تعبًا بل ضيقًا وحُزنًا على حال فتاةٍ في أواسط العشرين من عمرها، وكل ما يشغل بالها هو البحث عن الـــ.. مجهول ربما. علامَ كل هذا؟! انهمرتُ في البكاء.. أمسكتُ ببلاطة وضربتُ الحائط بآخر ما لي من طاقة، ثم استكملتْ دموعي الفرارَ لأجد شيئًا ما يقع على رأسي! نظرتُ جانبي لأجد بقعة جير

سقطتْ للأسفل. نظرتُ فوقي لأجد أن السقف ممتلئٌ بالفقاعات الجيرية التي تتساقط نتيجة الرطوبة. دققتُ النظرَ فلمحتُ شيئًا مكتوبًا على السقف بخط أسود واضح.. حرفان.. عربيان.. م ع.. ملتصقان ليُصْبِحَا "مع". نظرتُ بجانبي وأخذتُ قطعة من بقايا البلاط الذي كُسِرَ بعد رميه على الحائط، وصَوَّبْتُهُ ناحية الكلمة. سقطتْ بقعةُ جيرٍ أخرى لتستكمل الكلمة فتصبح "المعب". نهضتُ ورُحْتُ أبحثُ عن أي شيءٍ يطول ذاك السقف ذا الـــ4 أمتار تقريبًا كما حال البيوت القديمة لأجد زعافة طويلة. أخذتُها وعاقبتُ السقف على إخفائه تلك الكلمات كل هذا الوقت لتظهر كلماتٌ أخرى وجملٌ مثل "من ابن لابن ". شكا كتفي فحفزّتُه ليستكمل، وظلَّ يضرب السقف، وظلَّ الجيرُ يتهاوى وتتضح الرؤية أكثر. نصٌّ كاملٌ مكتوب بطريقة احترافية وبلغة عربية هذه المرة على السقف منذ سنوات، يتزامن انهياره مع بحثي عن السر! أنت داهيةٌ يا أبتِ. داهيةٌ بكل ما تحمل الكلمة من معنى. هل أنا على بُعْدِ لحظاتٍ من كشفي لأحد أسْرارٍ سترَها أبي ردحًا من الزمن؟ لن أقرأ كلماتٍ أو جملًا، سأقرأ النصَّ دفعةً واحدةً وها قد ظهر جليًّا النصُّ كاملًا.

مرسوم نُوب خبر رع:

أصدرَ الملكُ نوب خبر رع أحد ملوك الأسرة الـ17 مرسومًا يصبُّ فيه اللعنات على كبير كهنة معبد مِين "تتي بن مين" في قفط بعد سماعه أنباءً مؤكدةً تثبت تورطه في تحالف مع الهكسوس.

***

(نص اللعنة)

"يُطْرَحُ أرضًا في المعبد، تُؤخَذُ أطعمتُه وأقواتُه، يتم تجاهلُ اسمه في المعبد، وتُتْلَفُ كل مؤلفاته في معبد مين، كما أنه يُطرَدُ خارجَ المدينة، ولا يَلْتَمِسُ له ملكٌ قادمٌ أو حاكمٌ العفوَ. يُعْزَلُ من وظيفته التي يتقلَّدُها "مينِ إم حات". تَنْزِلُ عليه اللعنة من ابن لابن ومن حفيد لحفيد ومن وارث لوارث".

تتي بن مين؟! أين قرأت هذا الاسم؟ أخرجتُ مذكرات أبي من الحقيبة لأتأكد من الاسم.. "رؤى ابنة منير بن الشواف بن.. بن.. بن تتي بن مين". وفقًا لمذكرات منير الشواف هذا هو جدُّنا الأكبر. تنحدرُ سلالتي إذن حتى ذاك الرجل الفرعوني الذي لُعن بسبب الخيانة؟! كتب منير الشواف عمن ساعد الهكسوس في دخول مصر!

هذا كان جدي، هل هذا يفسر الحلم الذي رأيته من قبل للعساس الذي قطع اجتماع الملك المهم لأمر جلل! الأمر الجلل كان جدي العميل. الملك! هذا كان نوب خبر رع حاكم البلاد الذي أصدر ذاك المرسوم. أكاد لا أصدق ما أقرؤه وأحلله. هل أحلم؟ السطر الأخير من اللعنة تنزل عليه اللعنة من ابن لابن و من وارث لوارث.. ومن وارث لوارث.. وارث.. وارث. ضربَ صداها بعُنف على طبلة أذني. لو هذا الكلام معقول إذن فنحن نتحدث عن لعنة ممتدة منذ مئات القرون شملت الملعون الأكبر مرورًا بجدي وأبي حتى... أنا؟! أبي.. بالله عليك ما هذا الهراء؟! لا أصدق أني جئتُ إلى الإسكندرية لقراءة هذا العبث.. لعنة.. فراعنة.. تتي الخائن. هل مزَّقتُ الملاءات

وضربتُ السقف من أجل هذا؟ هل عرقتُ وانهرتُ لهذه اللعبة ثقيلة الدم! ولكن.. لحظة.. إن كان هذا هراء لِمَ قطعتُ وعدًا لأبي بألا أدخلَ القبو؟ إن كان عبثًا، كيف قفز نوب إلى أحلامي؟ مهلًا.. كيف عرف أبي المتوفَّى أصلًا بحلمي؟ بل فسَّره مُسبقًا! بالتأكيد كلهم حلموا بنفس الحلم. بالتأكيد كلٌّ يدوِّن مذكراته ويورثها من ملعون لملعون. ما هذا الهراء؟ هل آمنتُ بالخرافات؟ وفي تلك اللحظة بالذات تذكرتُ جَدِّي.. جدي الذي لا يتكلم مطلقًا! مهلًا.. من المفترض أن يكون هذا حقيقيًّا، بمعنى أنه في تاريخ معين هناك شخص يُدعى تتي بن مين باع وطنه للــهكسوس، ثم.. مهلًا! هذا الذي قطع اجتماع الملك هو أحد العساسين وأبلغ الملك عن جدي الأكبر ليقوم الملك بدوره بلعن كبير الكهنة وتورث تلك اللعنة. هذا حدث تاريخي إذن يجب أن يكون موثقًا بنقوشهم أو أحد المتاحف. كيف أتأكد؟ أخرجتُ الموبيل من جيبي وأخذتُ أولًا صورًا كي أحتفظ بنسخة، ثم.. **google** .. تتي بن مين.. ليظهر لينك واحد فيه معلومات عن ابن تيمية! لا شيء بهذا الاسم. استجمعتُ أفكاري كي أتيقن من أني على صواب ولا علاقة لما نقرؤه بصلة. أه تذكرتُ، كنتُ قد ذهبتُ في رحلة مع الجامعة بصحبة د. محسن نجم، أستاذ دكتور مختص بالحضارات القديمة بكلية الآثار بجامعة القاهرة، وكنتُ قد استأذنته في رقمه عندما أبهرتني معلوماته. هل أحدثه بحالة نطقي تلك التي تشبه سيارة 128 تحتاج لــنُص عَمْرَة. فتحتُ الــواتس اب. لم أتردد:

- دكتور إزاي حضرتك، كنت محتاجة معلومات عن تتي بن مين؟

وانتظرتُ كثيرًا بلا رَدٍّ، وبعد دقيقة سمعتُ الـــواتس اب يغرد. هرعتُ بسرعةٍ بأنفاسٍ متلاحقة وقلبٍ يضربُ بلا رحمةٍ.. لأجدها فرحًا!

- بيقولك في طلعة **sandboarding** في وادي الريان والواد ماجد المُز جاي.. أنا رايحة وش.

لولا انتظاري رسالة مهمة من شخص مهم لبصقتُ على الشاشة. تركتُ الهاتفَ الذي غرَّد مرة أخرى بعدها بدقيقة. سأخسر فرحًا الآن. فتحتُ..

- كبير كهنة معبد مين بـــقفط (قنا). عميل ساعد الهكسوس في دخول البلاد عن طريق تجديد الخطاب الديني عند المصريين القدماء. عرف الموضوع دا ملك اسمه نوب خبر رع حاكم البلاد في الأسرة الــ**17** عن طريق عساس سمع صاحبنا وسلمه للملك، اللي بدوره جمع أهل القرية لحضور مراسم لعنته اللي امتدت لتشمل كل عيلته. كان مشهد أسطوري نادر التكرار. هاحاول أجيبلك النص الأصلي.

سقط الهاتف من يدي حينما خانَتْني أعصابي. حاولتُ استجماع قواي لأستكمل، وبالفعل حملته مرةً أخري وسألتُ..

– يعني إيه لعنة هنا؟

ليرد فورا:

– اللعنة عند الفراعنة هي الموت.

بؤرة عيني على الموت، أنفاسي تُلاحق بعضها بعضًا في سباق autocross ، أما ريقي فابتلعتُه كحية تبتلع طيرًا بريئًا. كاد أن يعود لي صوتي من الصدمة أو.. أفقد النطق تمامًا أو أن.. موتي موثق قبل ميلادي! أحاول أن أتمالك نفسي ولكن كيف؟! أصلًا هذا ضد المنطق! حسنًا إذن أنا ملعونة بفضل خطيئة جدي الأكبر ومصيرنا نحن عائلة تتي هو الموت.

كيف يعيش جدي حتى الآن إذًا؟! أه، لكن أبي تُوفِّيَ في حادث بموقع عمله بالفعل؟ أمرَّتِ اللعنة على جدي بردًا وسلامًا إذًا؟ أم.. نجا منها؟ هل من الممكن النجاة منها؟ وما علاقة الأحلام باللعنة؟ ولِمَ الحيرةُ؟ لنفتح السيرة. جلستُ تحت نصف أبليك به لمبة لا تكادُ تضيء بعد أن كساها التراب.

فتحتُ المذكرات لأقرأ..

"أحسنتِ. لنقرأ الآن قوانين اللعنة السبعة معًا"

و... انتهتِ الصفحة!

فقَلَبْتُ الصفحةَ.. لا شيء! صفحاتٌ خاويةٌ على عروشها.. لا نقطة حبر واحدة، حتى عبرتُ أكثر من 7 صفحات لتظهر جملة يتيمة:

"لن تفهمي قبل أن تقرئي".

حسنا إذًا، تدعوني إلى مأدبة غداء فأسير معك للمأدبة، فإذا به سرابٌ، وحينما أذهب للتحلية تستغرب كيف أن أُحلّي قبل أن أتناول الغداء! رجعتُ مرةً أخرى وحاولتُ أن أدقق النظر في الصفحات.. لا شيء.. أين تلك النصوص بالله عليك! مهلًا.. هل هناك حروف وكلام أنا لا أراه؟! رسالة مشفِرة! أتذكر ذاك الفيديو على ناشينوال جيوجرافيك، نظرتُ فوقي حيث شبه الضوء الذي يخرج من شبه اللمبة. وقفتُ وقرَّبتُ الكتاب إلى أدنى مستوًى للمبة وانتظرتُ، ثم أرى.. لا شيء.. حاولتُ مرة أخرى وانتظرتُ أكثر ثم.. المفاجأة.. بدأتْ تظهر حروف ذهبية.. حبر سري؟!.. استكملتُ ثم ظهرتْ حروف متناثرة هنا وهناك على طول الصفحة وعرضها بلون ذهبي تارة وأخرى ببني فاتح. كدت أنتهي. بالفعل انتهيتُ. ظلت يداي مرفوعتين كمن يتظاهر ضد نصف أبليك نور.. صفحة تلو أخرى.. انتهيتُ من الأولى، المُعَنْوَنَة بـــ "القانون الأول" وتحته بَنْدٌ.. تلك أول مرةٍ أحس بإحساس الـــCSI.. قلبتُ الصفحة.. أتظاهر.. أقرأ.. القانون الثالث.. أقلب.. القانون الرابع.. الخامس.. السادس.. السابع.. انتهيتُ.. كي أُصدمَ مرة واحدة.

" القانون الأول:

اللعنة لا تقتل دون إنذار.

***

القانون الثاني:

لا يرى الملعون إلا المستقبل القريب وأصل اللعنة.

***

القانون الثالث:

الملعون لا يرى ملعونًا.

***

القانون الرابع:

اللعنةُ تُعنى بالأفعال؛ لا النيّات.

***

القانون الخامس:

اللعنة تقتل كل من اقترب منها وكل مَنْ سكت عنها.

***

القانون السادس:

أي محاولة لرفع اللعنة تنتهي بالموت.

***

القانون السابع:

تنتهي اللعنة بنهاية سلالة تتي."

ذهبتُ لأقرأ صفحات أخرى تأخذ بيدَيَّ من الضلال إلى النور. قلبتُ آخر صفحة حيث لن تفهمي حتى تقرئي، قلبتُ الصفحة لأقرأ: "أنتهي هنا من إرشادك ويبقى السِّرُّ مع كاتِمِ السِّرِّ."

وعندها هَجَمَ الليل، وبدأ ينقشع نور الأبليك العتيق كرجل محافظ يحارب حداثة العصر، أخذتُ المذكرات وانسحبتُ أنا الأخرى من الشقة، أما القلق فقد استأجر شقة ملْكًا بدماغي واستقرَّ، وأنجبت بنات أفكاري خوفًا وفضولًا. نزلتُ الدَرَّجَ ووصلتُ السيارةَ فوقف أمامي ميكروباص أبيض أجرة، وفي لمح البصر نزل 3 رجال سريعًا سحبوني سحبًا إلى الداخل وأغلقوا الباب، وحجبوا بصري بغمامة.

***

بعد حوالي ساعتين..

جلستُ أو بالأحرى أُجْلِسْتُ. ظلامٌ دامسٌ.. دقائق مرت حتى قطعَ صوتَ السكون صريرُ باب ثقيل مُعْلنًا عن زيارة ما. أين أنا؟! تبدو لي جهة سيادية.. صوتُ خطوات أقدام ثم أنينُ كرسي أعربَ عن استيائه لثقل مؤخرة جليسه. زاد الدخان بالغرفة عندما أشعل سيجارة.. بدأتُ بالسعال.. لم يكترثْ.. ثم عاد السكونُ مرة أخرى ليقطعَه تلك المرة صوتُ قبضِ روحِ السيجارة بالمِطْفَأة. بصوت أجش بدأ:

– رؤى منير الشوّاف.. 25 سنة.. المهندسين.. خريجة فنون جميلة.. بتعشق الرسم.. لدرجة إنها رسمت قضية قتل كاملة قبل ما تحصل، تحبي نختصر ولا عجباكي القعدة؟

– قتـــ..ل ايه! مش فاهـــ..ـــمة...حاجـــ..جه؟

– اه.. قوليلي يا رؤى اسم هند القشاش بيعنيلك إيه؟

- يعـــ..ـــني ايه؟

- يعني تعرفي عنها إيه؟

- اللــــ..لي النـــ..ناس كلــــ..لها عار..فاه.

- ها (زفرَ ضيقًا وغيَّرَ من جلسته ربما).. أيوا اللي هو زي إيه؟

- اتـــ..ـــحبســــ..ست في قض.ضية مخد..ارات..تقـــ..ـــريبا

- تقريبا.. اااه انتي مش دوغري معايا يا رؤى و دا مش حلو.

ماتعرفيش إنها اتقتلت مثلا؟

- اتـــ..اتـــ.. قتلت!

(صوت شَدِّ أجزاء وضَرْبِ السلاح بقوة على الطاولة، ارتعدتُ على إثْرِه خاصةً عندما أحسستُ بصوت أنفاس تقترب مِنِّي).

- بصي يا رؤى أنا ممكن أقبل أي حاجة إلا اللي يشغل دماغه عليا (ثم طبطب على خدي) فماتعمليش خارسة الله يباركلك.

بكائي كان ردي الذي لم يلتفت إليه، فاستطرد:

- يعني انتي ياختي ماكنتيش عارفة من قبلها بـــ24 ساعة.

- عار..فة إيه؟ (باكيةً).

- لا صحصحي معايا كدا وركزي دا شروع في قتل يا حبيبتي، ولا انتي ناوية تلبسي البدلة الحمرا قبل الفستان الأبيض.

صوتُ قدمي أحدهم يأتي عبر ذاك الممر الذي مشيتُه منذ قليل. خطواتٌ متلاحقةٌ انتهتْ بالنقر على الباب.. يُفتح ويدخلُ أحدهم ويدور الحوار:

– معتز بيه؟

– أؤمر يا آسر بيه.

– هو أنا يا باشا ماينفعش أعزم ضيوف عندي غير أما سعادتك تستقبلهم ولا إيه؟

– أفندم! يعني إيه؟

– يعني دي مش أول مرة. قبل كدا قولنا كرم ضيافة. بس كفاية واجب على كدا عشان ضيوفي بتتقمص.

– يا آسر بيه..

– إنت قفشت ليه دلوقتي؟ لو حابب تحضر التحقيق في مكتبي تنورنا.. لو حابب؟

نَهَضَ الأجشُ من جلسته على ما يبدو وانصرف بعد ذاك الــــدوش البارد، أما الآخر فاقتربَ مِنِّي وفَكَّ غمامتي لأغلق عينَيَّ فورًا حينما هَلَّ النور فجأةً بعد ساعات ظلمة ووحشة، وأبعد رأسي عن الإضاءة..

– تعالي معايا يا رؤى..

ومِنْ هَمٍّ لِهَمٍّ، سرتُ الرواق. أُشْبِهُ الآن السمكة الطائرة يُطارِدُها بحرًا سمكُ الـــدورادو ويقتنصُها جوًّا طائرُ الـــفرقاطة. وصلنا الغرفة وجلس ونظر لي في بشاشة..

- قبل أي كلام أنا باعتذرلك عن الطريقة اللي اتكلم بيها معتز بيه. هو بس حِمَقي لشغله حبتين مش أكتر.

-...

- ليه بقى الرعشة والقلق دا.. اهدي خالص.. قوليلي الأول تشربي إيه؟

-...

(رفع سماعة الهاتف).

- 2 ليمون يابني.

لم يمرَّ الكثيرُ حتى دخل العسكري بالليمون، وكأن مشكلتي في نقص الليمون.

– خد الباب يابني وماتدخليش حد.

– أمرك يا فندم.

انتظر المدعو آسر ليسمع صوت (تَكٍّ) الباب ليبدأ باسمًا:

– احكيلي يا ست الكل إيه اللي تعرفيه عن هند القشّاش؟

– معـ..ـرفش غير اللـ..لي النـ...ناس عارفاه.

– لا يا رؤى كنتي عارفة من قبلها بـ24 ساعة.

– هعـ..ـرف منـ..نين يعنـ..ني؟

– رؤى!

انتبهتُ.

– ساعديني عشان أعرف أساعدك. المصدر بتاعك ممكن يكون القاتل أو.. على علاقة بالقاتل. رؤى دي حاجة أكبر مني ومنك.. دا أمن قومي. القشاش اتقتلت عشان يتغطى بيها على حد تقيل.. حد كانت رِجله في القضية. اتقتلت عشان ماتتكلمش. ساعديني عشان أعرف أساعدك يا إما كل الشكوك هتبقى ناحيتك ودا مش بإيدي.

– وحتى لو حكـ..يت مش هتـ..صددقني.

ضجةٌ خارجَ الغرفةِ وصوتٌ عالٍ ميَّزْتُه عن غيره "هو مين اللي أشَّر إنها تيجي هنا أصلاً؟" ويدْفَعُ البابَ للداخل.. فارس..

- أاااه هو معاليك.

(وأَذِنَ للعسكري بالانصراف).

- فارس بيه (بنغمة غير مرحبة)

- هو يا باشا قضية القشاش مين شغال عليها.. معاليك؟

- هو مش سيادتك جبتها؟ وقضية المخدرات بتاعتك؟ أنا باحقق في قضية القتل. برَّه عنك.

- لا يا باشا مش برَّه عني. كل ما يخص المتهمة أو الضحية هند القشاش يخصني..سواء قتل.. سواءً مخدرات.. دعااارة..دي حاجة تخصني ماتخصكش.. سيادتك جايبها هنا بأمر رسمي ولا بتحقق حبي كدا لله وللوطن؟

- أمر رسمي؟!

- أااه، يعني حبي.. قومي يا رؤى بلاش كلام فاضي وتضييع وقت.. المقابلة انتهت.. وانت.. لينا كلام تاني.

و نَجَّانِي من نجَّا يوسفَ من البئر.

***

أخذتْ قصتي الآن منحًى آخرَ لتشبه الــفانتازيا والخيال العلمي.. شهيد الــفودو. المناضل الحبيب.. أجهزة أمنية.. رؤى.. مذكرات سرية.. مفتاح الحياة.. كود شقة الإسكندرية.. اللعنة. لهواة قراءة الروايات، كفُّوا عن خيالات **400** صفحة قصص وحواديت فأمامكم رؤى بأفيزياها، بمتاهاتها، بترْكَة أبيها لها، ملعونة بنت ملعون. لم يظل فارس صامتًا كثيرًا، فإن هزَزْتُه تساقط طرحُه أسئلة بدأ أولها بالفعل..

– الكلام ده صح؟ (بنبرة هادئة).

–..

– كنتي عارفة فعلًا؟

–..

– ما هو دول مش بيْجلّوا.

–..

- رؤى انتي عارفة أنا جايلك منين؟ دي قضية أمن قومي ودا مش هيعدي بالساهل كدا. رؤى أنا متحفظ على متهمة في قضية قتل. انتي مدركة؟

-..

- قصدي بالنسبة لهم ولحد دلوقتي مافيش حاجة عشان مفيش محضر اتفتح ولا اتاخد أقوالك بس دا مؤقت.

-..

- رؤى أنا احترمتك جدًّا يوم ما جيتي وقولتيلي اللي حصل مع سيف وادتيني معلومات عن أفغاني. الثقة دي انتي اللي قللتيها في حين إنك أدري إن أنا هابقى أكتر واحد هاحميكي وأكون ضهر ليكي، ورغم كدا مش مرسياني علــــــ..

- (قاطعتُه) عا..عربية سيف.

- ها!

- جابها ازاي؟

- وإيه اللي جاب القلعة جنب البحر دلوقتي؟

- جابـــ..ـــها ازاي؟

- من شغله.

- الــ..للي هوا...إيه؟

- البورصة.

- مش لدا..درجة إنه...يـــ..ـــجيب عربية....في تا..لت شهور.

- ما هو خد كورسات تحليل أور...

- ما خدش زفت (انفعلتُ)...وَا....قف هنا.

صُدِمَ فارس من ردة فعلي و ركن السيارة بالفعل..

- أنـــ..نا اللـــ..لي ساعـــ..ـــدت أخوك.

- مش فاهم.

- أخـــ...خوك مكـــ..ـــانش سيـــ..ـــدنا خضر أنـــ..نا اللي..

- أيوا!

- أنـــ..نا اللـــ..لي قولـــ..ـــتله ع الـــ..أسهم الكســـ..ـــبانة.

- انتي؟!

- أيوا

- توقعات يعني؟

- لا.

- مذاكرة بورصة.

– فا..رس بص.

– سامع (بحزم).

– إنت بتثق فيا؟

– أما بتحكيلي.

ضربتُ بقبضتي على فخذي.. قرارٌ صعبٌ أتخذُه الآن..

– مانتي أكيد ماحلمتيش بالأسهم مثلًا!

لُوِحَتْ رقبتي **45** درجة ناحية فارس، وفُكَّ لِجَامُ لسَاني في اللحظة..

– أيوا

– أيوا إيه؟!

– بــ..شوف أحلام بتحصل في الــ..واقع.

– بتشوفي إيه؟! (ضيق عينَيْه مستغربًا).

– بــ..شوف حاجات بتحصل في الــ..واقع.

- والله بركة! طب شوفيلنا بقى الزمالك والأهلي الجاي كام كام عشان ناوي أروح الاستاد.. انتي بتهزري؟! باقولك قضية قتل وأمن قومي.. تقوليلي باحلم ومش باحلم! هنهذي يا رؤى؟!

- بص أنـــ..نا مش حمـــ..ل أ..برء (أبرر) نفسي..بس هـــ..ـــوا دا.

- طب حطي نفسك مكاني.

- فارس أنـــ..نا مش مجـــ..نونة وعار..فة إنه مش..مقنع (أخذتُ نفسًا) بس دا حد..وتة كبيرة.

- دا هري وقلة عقل.

- انـــ..نا اللي كنت با..قول لأ..خوك يشتري إيه ويـــ..بيع إيه (نفس) واغتنى بـــ..سرعة وأجب (جاب) عر..بية.

- دا مش دليل ويا رؤى بلاش حوارات و خليـــ..

- أنـــ..نا حلمت بيك وانـــ..نت تقبض عل..البيريهان الحسين بأ..مارة الـــ..لابتوب الـــ **apple**.

خرجتْ عيناه من جُحريهما، وفُتِح فمُّه كطفل يشاهد فيلم **3D**..

-..

- لسه؟

-..

- عار..فة انها مر..ضش (مرضيتش) ترص آخر و..رقة.(نفس) الشيش يا فارس.

- (بنبرة هادئة وبوجه بدا عليه اقتناعه بما سمع) مين يعرف الكلام دا؟

- أنا.

- انتي بتحلمي بكل حاجة!

كدتُ أنطقُ بـــنعم قبل أن يقفز إلى بالي القانونُ الثاني: "لا يرى الملعون إلا المستقبل القريب وأصل اللعنة".

- الـــ..مســـ..ـــتقبل القريب.

- بمعنى أصح كل ما في محيط عقلك الباطن وبتفكري فيه بيتحقق في المستقبل.

- مـــ..ـــكن أه.

- ودا اللي خلاكي تشوفي هند القشاش بس دا إيه علاقتها بيكي؟

نظرتُ إليه نظرة "أنت أذكى من ذلك"، فهِمَها في اللحظة واستكمل:

- أه، فهمت.

- إيه دا! في حاجة ناقصة.

- إيه؟

- لما انتي الوحيدة اللي بتشوفي الحلم، احنا عرفنا ازاي.. احنا مسيطرين اوي كدا؟

- أنا مســـ..ـــتغربة.

- انتي متأكدة إن مافيش غيرك وغيرنا دلوقتي على علم باللقطة دي؟

- ما..فيش غيري و....فعلًا؟!

- فعلًا إيه؟

- لأ مش ممـــ..ـــكن!

- في حد تالت؟

– نـــ..ـــزيه.

– نزيه!

– أخصا..ئي التخاطب.

– أه دا يتحكيله ليه برضو؟

– را..جل كبير..وارتحـــ..ـــلو.

– ارتحتيـــلو (باستهزاء) وفين نزيه دا دلوقتي؟

– فارس، نـــ..ـــزيه خارج مســـ..ـــتوى الشـــ..ـــبهات نهائي.

– كلميه طيب.

أخرجتُ الهاتف لأحادثه وكانت الصاعقةُ "الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا".. حاولتُ مرارًا نفسَ الرسالة لأول مرة منذ معرفتي به طيلة الجلسات:

– مقفول!

– نزيه مش خارج مستوى الشبهات. نزيه خارج نطاق الخدمة.. وهيعوزها في إيه ما هو خلاص خلّص خدمة ومش هتشوفيه تاني. فضل يسمّن فيكي وخد غرضه وخلع..هاتي الرقم!

مصدومة، غبية وذات مصير على كف عفريت. سلّمتُه الرقمَ والراية اتصل هو بإحدى الجهات..

– عمليات.

– ابدأ يا فندم.

– عاوزك تتبعلي الرقم دا (وأعطاه الرقم).

– جاري..... الموبايل مغلق يا فندم من 48 ساعة.

– آخر عنوان؟

– الدقي، ميدان المساحة.

– شكرًا.

– قولتيلي العيادة فينَ؟ (موجهًا الكلام إليّ)

– الد..قي ميـــ..دان الـــ..مساحة.

– خلع كدا خلاص.

شعور بسلحفاة دَسَّتْ رأسها إلى الداخل، بينما فارس استشاط غيظًا، وكالعادة سكات. فقد خُلِقْتُ من أجل إعطاء أوقاتٍ صعبة لـــفارس. لِمَ تصبرُ عليَّ وسطَ كل تلك البلاوي والمصائب؟ لم يمضِ الكثيرُ حتى وصلنا حيث سألت:

– ههتقـــ..بض (هيتقبض) عليا؟

– لحد دلوقتي لأ.

– أنـــ..نا خايفة.

– طبيعي.

– مش طا..يق تتـــ..كلم.

لم يتكلم، بل فتح زر الـــسنتر لوك ففتحتُ ونزلتُ وقد اغرورقَتْ عيناي. دخلتُ حيث كان جدي يُشاهِدُ التلفاز نظر إليَّ دون أن يتفوَّه بكلمة، ورجعتُ إلى سريري في ليلة عصيبة وكل ما أحلم به ألا أحلم.

***

صباحٌ بلا أحلام إذن لا قتلى ولا جريمة حتى إشعار آخر، وكأني أنا ممثلة الأمم المتحدة ومتعهدة السلام العالمي ونشر بذور الخير والوئام في ربوع المحروسة. ولكن هذا لا يغير من المعادلة في شيء، فأنا الآن متورطة في جريمة قتل أو على أقل تقدير شاهد على حدوثها، وقلق فارس المفرط ليلة أمس ينبئ عن أكثر من ذلك، وكأن هذا ليس أسوأ سيناريو! إنِ نحَّيْنَا الهلعَ والفزعَ جانبًا ودعوْنَا المنطق على فنجان قهوة تركية سيحتسيه ويحلل: فارس مولع بي لدرجة أنه لا يكترث لأمر علاقتي القديمة مع أخيه، وفي نفس الوقت يحارب من أجل حقِّ أخيه. فارس حتى لم يأبه لأمرِ الرسائل سواءً المباشرة وغير المباشرة. فارس يُعَرِّضُ أمنَه ومستقبلَه لخطر من أجلي، وأنا لا أنكر أن هذا يستفزُّ مشاعر كل أنثى. إن كانت تلك طريقة فارس في التودُّد فالرجل قد حاز أوسكار فتى الأحلام.

أه بخصوص الأحلام، الآن فقط فهمتُ مَنْ هم الفراعنة الذين يركضون نحو المعبد. تصديقًا لما قاله د. محسن، أنا صاحبة أطول شجرة عائلة على الكرة الأرضية. لن أتكلف مصاريف تحليل الـ DNA باهظة الثمن، فأنا على علم بماضي عائلتي السحيق.. أنا تاريخ، تاريخٌ أسودُ لا فخر فيه، بل أنا بالأحرى امتدادٌ لعنةٍ عاشت قرونًا وقرونًا. ولكن مهلًا إن كنتُ أنا على علاقة بكل ما أحلم، هناك حلم لا نزال نبحث له عن إجابات.. قطع الشطرنج.. مطار أبو ظبي.. ذاك الحلم. من هم؟ أين هم؟ هل هم على علاقة باللعنة؟ نحن نتحدث عن شخص تحكمه نصوص فرعونية لها أحكام وقوانين، 7 قوانين تُنَظِّمُ الـ... مهلًا! 7!!.. ذاك الرقم الذي حير العلماء، وقد تحدث عنه مصطفى محمود في كتابه "الشيطان يحكم" وما له من قوانين ودلالات سماوية وإلهية. ذُكِرَ الرقم في القرآن: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ"، كما أن كلمة جهنم تكررت سبعًا وسبعين مرة. وفي الإنجيل يقول يوحنا اللاهوتي: "إن الله يوم القيامة يفتح كتاب الأقدار، ويفُضُّ الأختام السبعة، فينفخ سبعة من الملائكة في سبعة أبواق وتحدث سبع كوارث تنتهي بها الدنيا". وفي اليهودية، لا يمر اليوم السابع من الأسبوع مرور الكرام، وكذا يقدسون العام التاسع والأربعين ويسمونه عام العيد أي 7 × 7.. الموسيقى تتشكل من سبع نغمات.. ألوان الطيف السبعة هي ما تشكل النور.. ذرة الهيدروجين في الشمس لها 7 مدارات تقابل سبعة مستويات طاقة..

الرقم 7 نفسه ليس له جذر تربيعي ولا يقبل القسمة. أيُّ مصادفةٍ هذه جعلت الفراعنة يَغُلُّون وثاق اللعنة بسبعة قوانينَ كاملة؟! ما أعلمه عن الفراعنة أهم غيرنا لا يتركون مجالًا للمصادفة. عدد القوانين يرعبني، وكأن القوانين نفسها لا ترعبني! لِمَ يحصل كل هذا؟ لعنات ورؤى.. رؤى! لِمَ أطلقَ عليَّ والدي هذا الاسم؟ فما أحلم به ليس مِنَّةً ليكون رؤيا! حتى اسمي على غير مسمًى.

ذهبتُ للشرفة لآخذَ نفسًا من الهواء عوضًا عما احترقوا داخلي. أنظرُ إلى حال المارة كالعادة. أيًّا كانت مشكلاتهم، هم أفضل مني حالًا. لمحتُ سيارة **BMW coupe**. نفس مكان الذي أنزلني فارس بدون انشات بزيادة أو نقصان. هل هو فارس بالفعل؟ سأنزل لأرى.. لا لن أنزل.. أحضرتُ الهاتف.. رجعتُ للشرفة.. اتصلتُ..

– صباح الخير.

(بصوتٍ خافتٍ كمن استيقظ للتوِّ).

– أه...لا..انــــ..نت بايت ف العربية مــــ..ن امبارح؟

– أه عشـــــ..

أنهيتُ المكالمة.

لا أعلم لماذا انتهيتُ من المكالمة، لكن أعلم أني عدوَّة المواجهة. لا أستطيع وصف إحساسي. مطمئنَّة للأسف أخشى أن أكون سعيدة بما يحدث لأني سعيدة بالفعل. لفظ فارس "صباح الخير" كأنه طفل بريء

لا ناقة له ولا جمل. ولا كأنه طردني من السيارة ليلة أمس. لفظ "صباح الخير" وكأنها ليست الأجمل على الإطلاق.

لم أحلل المستوى الصوتيّ للكلمة، ولا أفهم إحساسي صوب فارس. أهو إحساس الثقة التي طالما افتقدتُها؟ أم الأمان الذي يضمنه لي؟ أم بالـــــ.. نعود للأمان. انتابني ذاك الشعور حينما حررني فارس.. وكأني فريدة، ولا يقدر أحدهم على مَسِّ شعرة مِنّي. شعور بالثقة الزائدة بل بالغرور لنفسي بسبب فارس. هكذا هو شعور الفتاة مع كائن الجوزاء. إحساس بالنشوة والفُرَادَى. إلى متى سيظل كل ما فيَّ يُعلي من شأن فارس ولا يرضى أن يعامله معاملة عادية؟ لِمَ لا أكون كالرقم واحد يظل محتفظًا بخصائصه مهما يضُرب في أرقام. لِمَ يستحوذُ على أفكاري و.. (رنة واتس اب).

– أنا آسف.

فارس يعتذر! تلك قتلتني؛ فالاعتذار لغةٌ راقية يتعذّر فهمُها على ذوي النفوس الفجّة، وفي تلك اللحظة هاتفتُه..

- بعت حاجة؟

- ماظهرتش؟

- أه t..ext فاضي.

- أه بعت أقولك اللي حصل امبارح دا مايتكررش تاني.

- طيب..عاوز حاجة؟

- هاها

- بعـــ..ـــت حاجة برضو؟

- آسف مش هتتكرر.

(اعتذار شفهي وكتابي كدتُ أهاوى بعده من الشُّرفة).

– بـــ..ـــتعمل ايه عندك بقى؟

– باتستر على قاتلة محترفة.

– مش خايف؟

– لا مأنا قفلت الـــسنتر لوك.

– أمم.

– طب إيه؟

– نعم!

– أنا على لحم بطني من امبارح.

– ابـــ..ـــعتلك حاجة مـــ..ـــع قناوي؟

– قناوي دا البواب صح.

– أه.

– الله يكرم أصلك يا شيخة. طب ممكن أعزمك أنا على أي حاجة في **on the run** وأطلع عالشغل؟

– ممكن.

ارتدَتْني ملابسي، ونزلتُ لأجد فارسًا في وضع مُزرٍ إثْرَ نومةٍ غير هنيئة ليلة أمس. فتحتُ الباب وركبتُ..

– صباح الخير.

– يا سلام.. نازلة وبرفيوم وبشاشة وكأني جايبك من عند الكوافير امبارح.

– خـــ...لاص هاكشر.

– لا يا ستي تقلبيها دراما بقى وتبقي رؤى خانوم على إيه.

انطلقنا وبدأ فارس:

– نمتي كويس؟

– الحمـــ..ـــد لله

-- مفيش حد هيـــــ..

وفهمتُ ما يرمي إليه فارس على الفور.

– لا مفيش.

– طب يا عم قفشت ليه؟ أدينا وصلنا أنا هاجيب قهوة فرنساوي وأي حاجة أكلها، تاخدي إيه؟

– كابتشينو med..ium.

واحتسينا الشراب وبدأ فارس:

– طب رؤى أنا في حاجة كدا جات في بالي وعاوز أدردش معاكي فيها بخصوص الراجل بتاع العيادة دا، اسمه إيه قولنا؟

- نزيه؟

- أه. لو فرضنا (نقصتْ علبةُ سجائره واحدةً ثم استأذنني بعينَيْه فأومأت موافقةً).. لو فرضنا إن الجهاز خد معلوماته من الراجل دا وأمنه وخدوا أكشن ضدك واللي هو بنسبة 101%.. ليه مشكوش فيه هو؟

– عـــ..اوز تقول إيه؟

– حاجة من اتنين. يا إما الراجل دا هربان دلوقتي عشان مايتجابش في الرجلين، ودي حاجة أستبعدها عشان مافيش حد بغباء إنه يِلُط نفسه بسبب معلومة مهما كانت مهمة. عالأقل هيتجاب ويتحقق معاه.

– والتاني؟

(نفس سجائري طويل).

– نزيه دا متجند أو مخبر.

– ها؟

– رؤى عاوزك تعرفي حاجة.

– إيه؟

اقترب مِنّي ونظر بتمعنٍ:

– ليست الأمور على ما تبدو عليه.

– ايـــ..وا بس نزيه..

– نزيه دا مشيّلك ليلة توديكي ورا الشمس اشتري مني (وربت على يدي) بس أنا في ضهرك. رايح الحمام. الكابتشينو هيبرد.

(رنة الهاتف) فرح تتصل..

– معلش يا مزة عندنا **closing** بقى كل سنة وانتي طيبة.

– لو شفتك هاقـــ..تلك.

– هاها المفروض تشكريني إيه دا انتي برّه؟

– أه.

– أها مأنا سامعة صوت، بتعملي ايه بره كدا عالصبح؟

– مشـــ..ــوار كده.

– أه مشوار فين يعني؟

فارس قادم ثم توقّف عند شيف القهوة ليحدثَه.

– بعـــ..دين بقي يا فرح.

– لا متقوليش! بجد؟

– هاها.

– أمال إيه بقى بتدعي الفضيلة وعاملالي فيها عمرو خالد. مع فارس؟! على غيار الريق كدا. طب دي اصطباحة هايلة جدًّا. أنا اصطباحتي كانت مع المدير بتاعي عاوز يتجوزني على مراته.

– طب ألـــ..ف مبروك.

– تخيلي كدا أبقى مراة أب والعيال يقتلوني عشان ماورثش.. هاار أسود.

– هاها.

– ماشي أعم سسسهللووانا هاروح للأقرع أبو كرش دا أعاكسه شوية يمكن يترلي مكافأة ولا حاجة. انتي عارفة بقى**profit share** و شعار المرحلة "مصلحتك أولًا".

– بتـــ..ودي فين الفلـــ..وس دي؟

– يا ساتر يا رب يللا سلام وهاروّح أكلمك.

– ماشي باي.

أنهيتُ محادثةً ودخلتُ في أخرى..

– رؤى أنا لازم أطلع عالشغل دلوقتي يللا أوصلك.

ركبنا وبدا علينا نحن الاثنين إحساسٌ بالسعادة والارتياح رغم ضغوطات كلٌّ مِنّا. وصلنا سريعًا للأسف. نظرتُ لـــفارس ثم..

– بـــ..تعمل كده ليه؟

– هافتحلك الـــسنتر لوك والله.

– وتبات تحت الـــ..بيت تاني........لا روح يا عم.

ابتسم.

– هاكلمك بالليل أطمن عليكي.

– سلام.

– رؤي ثواني (مد يدَيْه للخلف لتخرج محملةً ببوكيه ورد) دي تالت آسف أقولها.

– سلام (أخذتُها في تردد وخجل).

وتركتُ السيارة، ودخلتُ في ارتياح ورضا تلك المرة، وبداخل العمارة كان جالسًا على الدَّرَجِ في انتظاري، وحينما رآني رفع رأسَه.. رجعتُ خطوةً إلى الوراءِ رعبًا وزادت أنفاسي وضرب الأدرينالين في كل جسدي و بنظرة ثقةٍ..

– حلو الكابتشينو، ها؟

- إزيك يا رؤى؟

نظرتُ صوب سيارة فارس فلم أره.

- لا فارس جالو تليفون ومحتاجينه في الجهاز. في سؤالين في بالك دلوقتي. أنا باعمل إيه هنا؟ جاي أسمع منك الكلام اللي كنتي بتقوليه ولو مش حابة مش مجبرة. اشمعنا هنا؟ يعني.. ضايفتك مرة تضايفيني مرة. ولو مش حابة دلوقتي برضو مافيش مشاكل يا ست الكل. بس حاجة واحدة حابك تعرفيها. أنا هامشي دلوقتي ومش هاظهر تاني غير أما انتي تحتاجيني.. وهتحتاجيني.

ثم ناولني الكارت الخاص به وتبخَّر. لم أفكر مطلقًا. أخرجتُ الهاتف وقمتُ بما وجب على القيام به..

- ألو، فارس!

- كنتُ لسه هـــ..

- آسر كان مستـــ..ني في مدخل العـــ..مارة لسه حالًا.

- دلوقتي؟

- لسه حالًا.

- وبعدين؟

- حذرني منـــ..ك وقالـــ..لي هتحتاجيني.

- ابن الـــــــ.. طب هالف وجايلك.

- لالا ماتجيش هو مشي خلاص.

- رؤى اطلعي ولو حصل أي حاجة أي حاجة كلميني بس وثانية هاكون عندك.

- فارس مش عايـــ..ـــزة ابقى مصدر مـــ..ـــشاكلك.

- أنا مشكلتي الوحيدة مع حد بيحقد عليا من أيام الكلية، بس ورحمة أبويا ما سايبه. طيب رؤى اطلعي انتي وزي ماتفقنا.

- فارس اوعدني إنك متتـــ..ـــصرفش غلط.

- عارف أنا باعمل ايه ماتقلقيش.

- سلام.

رغم أن آسرًا هتك ستار تلك الألفة، إلا أني لم أنكسر، فـفارس هو كهفٌ جبليٌّ يحميك من الدببة والضباع. أمسكتُ بـكارت آسر وفكرتُ لحظةً أن أُمزِّقه، ولكني احتفظتُ به لسببٍ ما.

بأحاسيسَ مختلطة ومتضاربة صعدت الدَّرَج. درجةٌ تذكرني بـفارس، وأخرى بأخيه، وثالثة بمصير محتوم لفتاة ملعونة، ورابعة بأفيزيا تقتلني ببطء، وخامسة بأحلام غير وردية، وسادسة باعترافات المرحوم، وسابعة هي أنا وسط كل تلك المعطيات. فقط أحدٌ واحد هو من ينتشلني من تلك الحالة. أحدهم يلهمني ولا يهملني وأنا في أمَسِّ الحاجة للدعم، وإلا أصبحتُ سمكة ميتة تسبح مع تيار الهموم. أحدهم يهْتَمُّ ولا يتَّهِم. أحدهم يعبث برأس فتاة حتى أسسَ شوارعَ باسمه في مدقّات وأزقّة قلبها. أحدهم جبار ذو سلطة وضعيف مع أضعف خلق الله. رسالة إلى المنطق.. أستأذنك فـفارس سيمر.. نعم سيمر لا آبه للزحام المروري أو حتى لون الإشارة. مُرْهُمْ بالانتظار حتى عبور موكب دبلوماسي إلى أنفاق وأعماق رؤى. وفي تلك اللحظة بالذات، لحظة التجلي، قفزتْ إلى رأسي سعاد ماسي تغني: "غير انت" وكأنها تخصني بها، تذكرتُ الورود التي أهداني إياها فارس. فتحتُ الدولاب، ورحت أستنشقها دققتُ النظر فإذا بوردة واحدة من البلاستيك. لم أفهم. أخرجتُها فإذا بورقة ملصقة بها! فتحتُها بعناية فإذا بكتابةٍ: "سأظلُّ أهتمُّ حتى تذبلَ آخر وردةٍ".

***

بوجهٍ باسمٍ على غير العادة استيقظتُ من قيلولتي. أتذكر فارسًا كل حينٍ وآخر، في محياي وأحلامي. فكرتُ أن أستشير رأي من لا تَدل ولا تُستشار برغم أني على علمٍ مُسبقٍ برأيها. مكالمة لن تنفع ولن تضر..

– فرح فاضـــ..ـــية؟

– إيه الدخلة دي؟

– حاجة مهمة.

– خير.

– إيه رأ..يك في فارس؟

– ..

– ها يا فرح؟

– أيوا فين السؤال!

- يافـــ..رح الجزي.

- يا بنتي اساليني تاكلي ماك رويال ولا بيج ماك. تحبيها حلوة ولا محدقة. أقول أنا رأيي عن فارس؟ أنا أضيف! على وضعه وش.

- يا فرح مينـــ..ـــفعش

- يا بنتي أنا أبويا أما كان بيتجوز أمي كان قايل على خالتي أصلا. بتتكلمي في إيه؟

- طينـــ...ـــتيها على فكرة.

- بصي يا رؤى الزيتونة.

أنصتُ باهتمامٍ:

- السعادة نصيب استمراريتها قرار، وصلِت؟

- مش عارفة.

- وبعدين على رأي الكينج.. "الفرصة بنت جميلة راكبة عجلة ببدال، الشاطر لو يلحقها يتبدل بيه الحال". عيشي يا رورو.

- حبيبـــ..ـــتي.

- سلام.

- باي.

"السعادة نصيب، استمراريتها قرار" رنَّتْ بأذني كما تكبيرات العيد. هل فارس السعادة؟ وكأني لا أعلم الإجابة. هل متسرعة؟ وفيمَ أفكر؟ فإن حق التفكير على أحدهم فيكون لـــفارس الذي يرتبط

بفتاة تُتَهْتهُ، مترددة، ضعيفة، تضرُّه أكثر ما تنفع. هل هو عطف؟ ولكنّ فارس ليس بسذاجة أن تستعطفَه مشاعرُه، ولكن لكل رجل قوي لحظة انهيار وخَرٌّ قُوَى. هل أنا لحظة انهيارك؟ ها أجب هل.. فارس يتصل!

– ألو.

– البسي أشيك فستان وانزلي وماتبصيش من البلكونة.

– إئ..أنـــ..نت تحت؟

أنهى المكالمةَ. اقتربتُ من الشرفة وكدتُ أفتحها، ولكن لا لن أفعل. فيمَ يُخطِّط؟ هل ستراقصني على أنغام عمر خيرت؟ أم تصحبني لحفلة تنكرية نهرب بها من الواقع؟ أم تمهدني لمعارفك في حفل ساهر؟

فتحتُ الخزانة وها هو الفستان الكريمي الضيق ذو حزٍّ ذهبيٍّ عند جانبَيْ الجسم يشف الكثيرَ ويسترُ القليلَ، سيثير أي ذكر لا شك؛ لذا ارتديتُ الفستان الأسود الكلاسيكي المنتمي لموضة الستينيات. أما عن الـــميك اب، فكثيرًا ما تتشاجر معي فرح لأضع القليل ولكن بلا جدوى. ولكن قليلًا من الأيلينر لرسم الـــ **cat eye** لن يضر، وكذا أحمر شفاه وردي اللون. وبالنسبة للإكسسوارات فلن أضعَ أيًّا منها. امم.. عدا تلك الورود الفضية التي رُصَّتْ كي تشكل ذاك الأنسيال وخاتمًا وبالطبع السلسلة ذات مفتاح الحياة.

قفزت بداخل حذائي الأسود الذي أعطاني ميزة 4 سم بفضل الكعب، ونظرة سريعة للمرآة حيثُ تعطرتُ بعطر روزماري، وأخذتُ الـــبورتوفيه، ونزلتُ الدَّرَجَ وها هو كالعادة متكئٌ بجانبه على سيارته ويتحدث في الهاتف. بدلة **slim** قاتمة السواد، يزين وجهَه ذقنٌ تركية خفيفة. دقاتُ الكعب لفتتْ نظرَه أرضًا ثم وجَّه نظرَه صوبي فتجمدَتْ ملامحُه حين رآني ونظرَ إليّ دون أن ينبس ببنت شفة، باندهاش كمن يحملق بكائن فضائي هبط للتوِّ لصحراء أريزونا مدة تجاوزت دقيقة، وأحدهم على الهاتف. كدتُ أسمع "الو.. سامعني" ومن دون رد أنهَى المكالمة! ابتسمَ فبرزتْ تلك الغمازةُ التي أوشك على أن... وبنفس الابتسامة فتح لي باب السيارة فدخلتُ وانتظرتُه ليغلقَه، فالباب لا يزال مفتوحًا، فانتبهتُ. مازال باسما صوبي ويحملق بعينَيَّ فاحمرتْ وجنتاي خجلًا، ونظرتُ أرضًا. تلك الابتسامة تلخص الكثير. تحرَّك فارس إلى الناحية الأخرى صوب مقعد القيادة

وانطلقنا. ملامحُ وجهِهِ تلخصُّ حالتَه. ظللتُ صامتةً في خجلٍ وظل هو معجبًا بحالتي تلك. ليس معنى أن الرجل يأخذ دفة قيادة السيارة أن الأنثى تأخذ دفة قيادة الحديث، وإن رغبت. أنتظرُ بشغفٍ أولى كلمات فارس، ثم سمعت صوت هَمْهَمْةِ! ونظرتُ في تلك اللحظة باندهاشٍ إلى فارس الذي لم يفهم ملامحي..

- إنت بتتحولي ولا إيه؟

- سمـــ..ـــعت الصوت دا؟

- صوت إيه؟

هَمْهَمَةٌ أخرى

- في صوت!

- إيه دا لحقي تصحي؟ (ناظرًا في المرآة).

و ما إن لففتُ رأسي 180ْ في هدوء، فإذا برأس أبيض غير آدمي، وأذنَيْن ليستا بطويلتَيْن ذواتَيْ أطراف سوداء، وعينَيْن بيضاوَيْن ذواتَيْ بؤبؤ أسود اللون وأنف خالص السواد..

- أعرفك يا ستي.. بوتشا.

وكأنه يعرفني لأحد أقربائه، وليس لكلبة هاسكي شديدة البياض. على عكس كثير من الإناث لا أمتك عداوةً ضد ذوي الأربع. فقط تفاجأت بوجود طرف ثالث..

- طب انت عا..ملي مفاجأة.

- أه بصراحة استنيت رد فعلك.

- امم...طب احــ..ـــنا رايحين فين كده؟

- توقعي.

- لا انا بطــ..ــلت اتوقعك.

- حلو دا.

امتلكنا "المحورَ" حيث تعشق الـBMW حرق لترات أكثر من البنزين. عندها لاحظ فارس قبضتي على يدَيَّ فهدَّأَ أكثر. الفهم بالإشارة هو مطلب جماهيري لكل أنثى صماء قليلة الكلام. اقتربنا من مدينة الشيخ زايد، وعندها ركن فارس السيارة و..

- بوتشا.

فحملتْ بأسنانها إيشاربًا قطنيًّا أخضر اللون، واستكمل الملعون!

- أستأذنك (حاملًا الإيشارب أن يغمي عينَيَّ).

بغض النظر عن فوبياي من الغمامة، شتان الفارق بين تلك الربطة وأخرى لدواعٍ أمنية. أعطيتُه ظهري وربط الإيشارب حتى انقطع الضوء. سرنا حوالي **10** دقائق أخرى، وفجأة توقّفت السيارة، وسمعتُ صوت المكابح، ثم فتح فارس بابه وأنا في متلازمة من الفضول بوجود ذاك الكائن بجواري. فتح بابي فنظرتُ بجانبي. وضع كف يَدِهِ اليُمْنَى تحت كف يدي اليسرى في استدعاء للخروج الآمن الآن، ومشينا خطواتٍ حيث تيبسنا وتكلم:

- جاهزة؟

أومأت برأسي أي: "نعم"

فَكَّ غمامتي فإذا بـــــ...!! لا.. غير معقول! التبّة التي حلمت أن أصعدها من قبل، وقد قطعتُ عهدًا على نفسي أن أصعدها أول مرة مع حبيبي وفتى أحلامي. وَغَزْتُ يدي كي أصدق أني لا أحلم. مدخلٌ مغطًى بالورود يعقبه سجادةٌ حمراء اللون بطول التبّة التي تزينت بفواحاتٍ عبرت الخطوط الأولى لخياشيمِ أنفي وعلى القمة ألمحُ

طاولة عليها أكواب وقد أُعِدَّتْ لعشاء ما، العشاء الأخير على ما يبدو. فأنا لا أستطيع أن أحيا بعدها. فارس.. أنت.. أنت فارس. سأمتطي جوادك إلى الأعلى ولكن..

– عــ..ــرفت منين؟

– تويتر مابيخبيش.

– بس أنــ..نا كاتبة حوا..لي ست آلاف تويته!

– قريتهم كلهم.

– قريت **6000** تويته!

– قريت لحد ما شوفت صور كتيرة للمكان دا ومكتوب تحت صورة منهم "أصعدها مع من أظل معه عالية".

عجزت عن الكلام:

– الأكل برد.

مشيتُ كالتائهة التي وجدوها وسيوصلونها لأمها. لاحظ فارس أني أترنَّح بسبب الكعب فنزل للأسفل وخلع الحذاء، ووضع الكعبَ بجيبه الأيمن والآخر بالأيسر، فأصبح يتدلى حذائي من جانبيه. لا تعليق.. فارس! وصلنا للأعلى حيثُ تلك الطاولة، وأرجع فارس كرسيِّي للخلف كي أجلس ثم جلس هو بمقابلي. قدم لي كأسًا ثم بدأتُ لأروي عطش فضولي..

– ثواني...انــ..ت جبت تويـــ..ـــتر بتاعي منين؟

- أصلي باحلم (اقترب هامسًا).

- دي مش حا..جة حلـــ..ــوة.

- دي أحلى حاجة.

غيرتُ الموضوع فورًا:

- (أخذتُ نفسًا) كلمني عن عيلتك؟

- أهي فيهم؟

- مامتك مثلًا.

- مش فاكر كتير. كنت صغير. كانت تكشر ليل ونهار، أما بابا ييجي خمران وش الفجر، وتقول الرجالة كلهم كلاب وتقعد تضربني لما أضحك؟

- وتضحك ليه؟

- بتظلم الكلاب. بوتشا مثلا أوفى من أي حد.

- عشان بوتـــ..ـــشا **female**.

- كلبة.

- أفندم؟!

- باكلم بوتشا.

– نز..لني.

– باهزر.. باهزر انتي ما تصدقي. تحبي تقعدي عالأرض؟

– فـــ..ـــعلا؟...يللا بينا.

جلس فارس أولًا. ثم جلستُ بجانبه. تُظلّلُنا ليلةٌ قمرية، وسماء زُيِّنتْ بمصابيح ثم ساد السكون، ومعه بحركة لم ولن أحللها جلس خدي على فخذ فارس. لم أفكر أو أقرر بل ذهبت مع الريح، ريح قلبي ووجداني. أغلقت عينَيَّ وصمتنا لحظاتٍ، ثم راح يداعب خصلات شعري، وبدأ في صوت خافت:

– كدا كملت.

– هيـــ..يا إيه ديه؟

– الرسمة اللي رسمتها.

- مابتعرفش ترسم.

- قولتي إني رسام.

- همم...ورسمت مين؟

- رسمتك (مشيرًا إلى السماء).

فتحتُ عينَيَّ على استحياء:

-..!

- صافية زيك.

- في نجوم.

- دا النمش اللي محلي ملامحك (احمرت وجنتاي، وابتسمتُ وفجأة)

- شفت دا (مشيرًا بيده إلى شهاب)

- اتمنيت؟

- اللى اتمنتيه؟

سكون لحظاتٍ قطعه فارس:

- في حاجة بارزة جنب إيدك.

- فين؟

– جنب إيدك اليمين.

– اه شايــ. ـــفاها.

– ايه دي؟

– أطلّعها؟

– أه ورينا إيه دي؟

– مش عار..فة اطلــ..عها (أحاول سحبَها دون جدوى).

– احفري حواليها.

لم أعلم سِرَّ إصراره وحفرتُ حتى أخرجتُها فإذا بعلبة! وقد عُقِدَتْ بورقة على شكل فيونكة كُتِبَ عليها فكي ضفيرتك! بحركة لا إرادية وضعتُ يدي فأنا مطلقةٌ شعري حينما خرجتُ فإذ بضفيرة! علمتَ أن فارسًا هو من عقصها حين ابتسم. ففككتُ ضفيرتي فإذ بسؤال "تتجوزيني؟" ودون أن ينتظر رد فعل كعادته انحنى وفتحَ العلبة، وزين يَدِي بخاتمٍ ثم قبَّلها وسطَ نباحِ بوتشا فرحًا وهز ذيلها.

***

رأيتُ الأمرّين كي أقنع ذاك الجوزائي بمهلةٍ لن تزيد عن ثمانٍ وأربعين ساعة لأبتَّ في أمري. بدتْ له كثمانية وأربعين عامًا. لن أتعجل وسأعطي قلبي إجازة يومين كيلا يفكر فيما حدث، كيلا ينبهر بشغف قراءته آلاف الــتويتات كي يعلمني أكثر، كيلا يتأثر بكلامه عن تشبيهه نَمَشِي بالنجوم، كيلا ينجرف إلى طريق حاشاه أن يؤدي إلى فارس، وكأن كل الطرق لا تؤدي إلى فارس! لا لن أفعل ذلك. لن أسامح نفسي لحظة لو تذكرتُ شقيقه يوما! آاااه.. فيمَ أفكر الآن؟ لِمَ لا أتحول لأحد السنافر كي أقفز لُمخّي وأعطبَ أحد التروس فتتوقف الذاكرة عن الحركة ونحيا جميعًا في سلام أو أرتدي تلك القبعة وأرحل مع فارس إلى عالم افتراضي لا رجعة منه؟ ألم يكتشفوا المياه في المريخ؟ حسنًا إذًا، لِمَ لا نستأجرُ شاليهًا مطلًا على أحد السواحل بالمجرة بعيدًا عن هؤلاء الواقعيين الأشرار؟ الهروب.. نستطيع أن

هُروب ممن نريد، ولكن يبقى ذاك الجلاد الكامن هناك يتربص بنا كل حين وآخر، لعل سوطه يحظى بجلدة هنا وأخرى هناكِ، وفي عذابات الضمير له لذة. لِمَ لا أفكر بشكل أكثر عقلانية أو بالأحرى احترافية. ما العائق؟ سيف؟ مات! أحببتُه؟ جدًّا ومات. ألا أتذكره؟ ومضات. من تحبين؟ أخوه يحبني. أتحبينه؟! أتحبينه؟!. أتحـــ... اخرس يا ضميري يا عديم الفائدة، يا هادم اللذات. أتعلم أنت فرص حبيبة تجد ما يقرب من الــ90% من شريك أحلامها؟ أتعلم فرص وجود شاب مصري جنتل لا يزال حيًّا يُرزق؟ أتعلم معنى الإحساس بالأمن لوجود أحدهم بحياتك؟ أتعلم معنى الاستحواذ على قلب يُدفع دفعًا باتجاه أحدهم فيُكبِّلْكَ أنت وعقلي، فقررتُ أن تنتقم منه بسخافات؟ نعم سخافات. بل لحظة! أنا مسيّرة. لِمَ لا يكون فارس قدري وفرص تصحيح المسار؟ لِمَ لا يكون سيف لُعِنَ هو الآخر حينما استخدمتُ قدراتي في الشَّرِّ؟ فأنا سبب ثراء سيف السريع بقراءتي أسهم البورصة. أذكر تهافُتَ مكاتب الأوراق المالية على إقناع سيف للعمل لديها أو أن يكون زبونها وتقديم امتيازات استثنائية. سيف لم يشترِ إلا الأسهم الرابحة، وهذا بسبب رؤياي ثم.. رحل سيف. مهلًا.. لأخرج المذكرات.. القانون الأول.. "اللعنة لا تقتل دون إنذار"، هل.. من الممكن أن يكون موت سيف هو كارتًا أصفر وإنذارًا كيلا أسيء استخدام اللعنة بالمرات القادمة؟ يعني أن حياتي على شفا حافة! إذًا أنا في مرحلة الترقُّب ونِسَبُ الخطأ صفر. ثم أتى القدر بــفارس الذي

أخذتُ كارتـــــه لسببٍ ما بعد وفاة سيف.. كي أروي له ما حدث، ويتصل بي مرة أخرى، وأتعرف إلى أفغاني.. إسقاط واحد تلْوَ الآخر من الشبكة.. حتى هند القشّاش! ما لا يعلمه فارس حتى الآن أني لم أرَ أفغاني إلا في أحلامي! نعم أُلقيَ القبض على أحدهم، ودلَّ على شبكة مخدرات كاملة، وجرَت قضية كاملة بسبب حلم! ولكن.. جَرَتِ الأمورُ على ما يرام. إذًا أنا أستخدم الآن اللعنة في الاتجاه السليم، وأخدم بها الصالح العام.. أتذكر ذاك القانون.. أفتح المذكرات.. القانون الرابع: "اللعنة تُعنَى بالأفعال؛ لا النيات" وهذا ما حدث. فعل خير أدى لخير بواسطة.. فارس! هل يعتبر فارسًا فرصة لإعادة ترتيب أوراق البيت من الداخل؟ لو صح ذلك إذًا فارس هو قبلة الحياة. السؤال الآن.. لِمَ عُوقبَ سيف عوضًا عني أنا، شريكه بالجريمة؟ فأنا من دبَّر وسيف من طُعِن. إن كان هناك إنذار فما هو كار..تِي الأصفـــ..ر؟ وكأن الكلمات تُنطق بطلاقة! أفيزيا؟ هل تلك إنذاري شديد اللهجة واختبار للقادم؟ حسنًا، إذًا فهمت. تبدو الأمور الآن أكثر منطقية، ولكن إن كنتُ مُسَيَّرَةً قدرًا فهل تلك كل الأبعاد؟ ما تفسير بقية النصوص؟ أين جدي مما يحدث؟ ولِمَ لا يزال حيًّا في شجرة اللعنة؟ ألم تنطبق عليه أيٌّ من قوانين اللعنة السبعة؟ ما سر صمته؟ مهلًا.. لِمَ امتلكت الدهشة وجهَ المرأة الخليجية وأصرت على شراء باقي اللوحات؟ هل الأمر عادي، ولا يحتاج لكل هذا؟ إذًا ما سرُّ لهفتها؟ وما تفسير حلم المطار؟ يجب ألا تبقى الأحلام أحلامًا ولا

الرؤى رؤًى. وفي تلك اللحظة رن الهاتف من رقم غير مسجل! قمتُ بالرد:

- ألو مين؟

- حد جنبك؟

- نــ..نزيه؟!

***

– حد جنبك؟

– إنـــ..ت ليك عين تـــ.. ـــكلم؟

– لو حابة تعرفي إيه اللي بيحصل بالظبط قابليني في العيادة دلوقتي حالًا لوحدك.. لوحدك يا رؤى. سلام.

لم يترك لي مجالًا للرد. أنهى هو المكالمة لأفتحَ أنا قائمة المتصلين، وها هو رقم فارس ثم.. انتظرتُ لثوانٍ والرقم تحت إبهامي.. لمسةٌ وأستحضرُ فارسًا. لسببٍ ما لا أفهمه أغلقتُ الهاتف. ارتديتُ ملابسي على عجلة. أخذتُ السيارة وانطلقتُ إلى الدقي. نعم سأقابل ذاك العميلَ السِّرِّيَّ. وصلتُ في وقت قياسي. صعدت الدَّرَجَ. ظلامٌ دامسٌ حلَّ على المكان وكأنه هُجِرَ من مائة عام. فَتَحَ الباب قبل أن أدق الجرس ليفتح. لِحْيَةٌ مستحدثة، جلباب دون 10 سم وبدا عليه العزلة على غير العادة. نظر خلفي كي يتأكد أني وحيدة..

- خشي بسرعة.

خِفْتُ لحظةً، ولكن أنا هنا كي أعرفَ؛ لذا دخلتُ. وضعتُ الحقيبة ومفتاح السيارةِ على الطاولة وبادرتُ بالمواجهة..

- أنـــ..نا. ازاي عمـــ..ــري ما شكيت فيك لحظة؟

- رؤى انا عارف انتي بتفكري في إيه، وعارف إن نزيه قدامك دلوقتي مش مصدر ثقة.

- انـــ..ـــت بلغت عني!

- مش بالطريقة اللي فاهماها دي. الموضوع حدوتة كبيرة جدًّا وصدقيني ماكنش..

- أصـــ..ـــدقك؟ انـــ..نا لولا فارس كنت..روحت ورا الشمس.

- وهو دا صاحب الحدوتة والفيلم اللي بيتعمل عليكي، وبعدين ماسألتيش نفسك انتي ليه ماتقبضش عليكي لحد دلوقتي؟ صدقيني اللي عملته دا لمصلحتك.

- انـــ..ـــت بتعترف!

- رؤى، فارس دا حيّة وانتي بالنسبة له الحمامة اللي عمالة تبيضله كل يوم بيضة دهب وأول ما توقف تبيض.. هياكلها.

– انت بتـــ.ــــقول ايه؟! وتعـــ..رَف إيه عن فارس؟

– أعرف كفاية يخليني أحذرك منه وتاني دا عشانك.

– إنت بتـــ..قول ايه؟! وتعـــ..ـــرف ايه عن فارس؟ لو اعـــ..رف كده مكنـــ..ـــتش جيت......إوعي كلمني (تكلمني) تاني مفهوم؟

وتركتُه ورحلتُ..

– رؤى!

لم أرد ونزلتُ سريعًا إلى السيارة أحاول نسيان كل ما قاله. وجهٌ آخرٌ من نزيه لم أره يومًا. الاضطراب والقلق والشكل الغريب. علامَ كل هذا؟ ولِمَ التحذيرات؟! نزلت إلى السيارة وأخرجتُ المفتاح.. أين مفتاح السيارة؟ أووه لقد نسيتُه بالعيادة. عبرتُ الناحية الأخرى ومشيتُ ناحية العيادة مرة أخرى وصعدتُ الدَّرَجَ. البابُ مفتوحٌ والأنوار مضاءة! ثم سمعتُ صوتًا بالداخل، ولا يبدو أنه بالـــريسبشن، بل تسرب من غرفة الاختصاصي بالداخل. سحبتُ البابَ ودخلتُ حيث لم أرَ أحدًا، وكان المفتاحُ هناك. سآخذه وأرحل، وبالفعل كانت تسوقني قدمي إلى الخارج حينما لفتَ نظري نبرةُ الصوتِ تلك.

استرقتُ السمع والنظر. على أطراف أصابعي تقدمتُ خطوات لأسمع هذا النصَّ بطريقةٍ ساخرة..

– الله.. الله لتحميل أدعية الشيخ نزيه اضغط الرقم واحد. بارك الله في ديلك أمك. لا بس تكتيك برضو، قالك أكيد مش هيدور في العيادة. لا عجبتني، تشابووه!

أكاد أكذِّبُ أذنَيَّ سماعَها نبرةَ صوتٍ استكمل صاحبها..

– بس الحلو مايكملش. إنت ازاي مافكرتش إن السنيورة تليفونها أكيد متراقب؟ واحنا بنبيع سبح يا نزيه؟ ما تكبرونا شوية يا جماعة مش كدا. يا نزيه إحنا بعون الله عزرائيل بياخد مننا إذن انصراف. إنت بس اللي لسه ما أنش أوانك. أنا هافهمك البشر دول إيه ومتصنفين ازاي...

توقفتْ أنفاسي وكبر بؤبؤا عينَيَّ، ولم أصدق حتى لصقتُ وجهي بفتحة الباب، فإن كذبتُ أذنَيَّ فلن أجادل عينَيَّ.. فارس! وجها لوجه مع نزيه الذي بدا فأرًا سيلتهمه قطٌّ بريٌّ مسعورٌ..

– بص يا نزيه الناس 3 أنواع: يا مشّوش ودا مش عارف هو عاوز إيه، يا حريم السلطان ودول يتمنولي الرضا أرضى ويبقوا أهل الثقة والولاء وليهم عندي جنة الله في الأرض عشان مش هيشموها فوق طبعًا.

– و الـــ.. التالت؟!

ليُطْبِقَ فارس بقبضته على فك نزيه فيحشرج الثاني..

– الكلاب يا نزيه.. الكلاب. بيشوفوك حتة لحمة ياخدوا غرضهم منك ولو ماستطعموهاش (يبضقُ عليه) يتِفُّوها.. أصله كلب نزيه حبتين. بس اللي مايعرفهوش.. إن كل كلب وليه صاحب.. ولو فكر يزوم عليه.. فمالوش ديّة.. دا في الآخر كلب! (وتركه ليلتقط أنفاسًا ظنَّ أن اليوم آخرَها).

فـــ.. فارس.. أكاد لا أنطقها حتى في أفكاري. أهذا الذي أخرج لي اللؤلؤَ و المرجانَ من جعبته؟ أي وجه تُخَبِّئُ يا فارس؟ أكاد لا أصدق ما أرى!

– تبلّغ آسر؟ وإنت عارف إن بينا ما صنع الحداد؟ تِقل مني وتخليه يشمشم ورايا؟ إنت فكرت انت ليك دور يالا؟ انت

كومبارس مالوش عازة، لازم يتضرب عشان الفيلم يكمل. إنت أداه يا نزيه. وهي لو ماكانش جالها الخرا دا ومابتهتش كان زماني اتعوزتلك يا روح أمك؟

وَقف قلبي عن الضرب لثوانٍ ولففتُ ظهري للحائط. لم تحملني قدماي، بل سحبتني للأسفل، وانقشعت كنور عتيق أستخرج شهادة وفاته. ضُرِبْتُ برصاصةٍ منتصفَ الجبهة، وأنا مدنيٌ أعزل. كاد أن يخرج أنيني حينما وضعتُ كفّيَّ على فمي، ولكن عينَيَّ أبتا الكفَّ فَسَقَتَا كفي بدموع الصدمة.

– ضميري وجعني ومش قادر أفضل بوشين؟

– وليه وشين أما ممكن تبقى ابن كلب علطول! (يمسح وجهه بمنديل) هاعدي بكرة لو لقيت العيادة مضلمة أوعدك مش هابقى كيوت. الليلة دي بدأناها سوا وهنخلصها سوا. اللي يتكسف من بنت عمه مايجبش منها عيال.

حملتُ نفسي حملًا وهربتُ سريعًا.

***

لا، لم يكن حلمًا!

بشحمه ولحمه. فقط ارتدت الحِرباء ثوب الإجادة فلم نرَها حرباء. فعلًا كل الأشياء الجميلة مضرة بالصحة. أؤمن أن تلك الغبية بداخلي صدَّقتْكَ. أؤمن بسذاجتي في قبولك أصلًا وكأن الأمر منطقي. أؤمن أيضًا ببراعاتك التمثيلية التي فاقت ألباتشينو وتوم هانكس. كما أؤمن أن الكذب لا يُخْفِي الحقيقة، بل يؤجل انكشافها. اعتذار واجب لكل من حاربك بداخلي وقهرتُه. فارس.. أسوأ كوابيسي. "وهي لو ماكانش جالها الخرا دا ومابتهتش كان زماني اتعوزتلك يا روح أمك؟" تَرِنُّ في رأسي بمطرقة حدّاد يافع. ولو اتخذوا من أَيْمَان الله حلفانًا لكذبتُهم وصدقتُك. لكن لماذا يا فارس؟ لِمَ أنا بالذات؟ لِمَ دونًا عن نساء العالم اخترتَ حبيبة المرحوم أخيك لتتلاعب بها؟ أهكذا تُصان الأمانة؟ ماذا لو لم يمت سيف؟ ما الغرض مني؟ وما قصد نزيه بـ "رؤى، فارس دا حيّة وانتي بالنسبة له الحمامة اللي عمالة تبيضله كل يوم بيضة دهب وأول ما توقف تبيض.. هياكلها" هل يقصد الأحلام التي تتحقق؟ كيف علم بها إذًا؟ هل كان

سيف يطلع أخاه على قصة البورصة؟ أستبعدُ ذلك؛ فـــسيف كان شحيحَ الكلام أصلًا مع أخيه، ونادرًا ما تحدث لي عنه. منطقي جدًّا أن يكون كلام نزيه صحيح فهو الدافع الوحيد لـــفارس، ولكن كيف علم بالأحلام؟ مهلًا! الشرائط! التي كان يسجلها لي نزيه. هل كان نزيه طريق رأس الرجاء الصالح لنقلِ أحلامي لـــفارس؟ بيريهان الحسيني.. مقتل هند القشّاش.. القشّاش.. طرف ثالث ظهر بعدها وهو آسر! وهنا اكتملتْ ثالثة الأثافي.. الغول والعنقاء والخِلُّ الوفي. اللحظة التي خان فيها الصاحب صاحبه وسلمه لآسر. هذا هو سبب الخلاف إذًا وما جنَّ جنونَ فارس. سهرك ونومك تحت منزلي في سيارتك يومها كان لشيء في نفس يعقوب إذًا. كم أنا مغفلة! ولكن يبقى أكبر التساؤلات.. كيف أكون فريسة فارس وأنا من هاتفتُه أولًا؟ نعم أنا من حدثتُ فارسًا بشأن الاعتراف! وأنا أيضًا من وجدتُ عيادة نزيه لمتابعة الأفيزيا. أين جرى التنسيق بينهما؟ هل أبلغَ نزيه فارسًا أولًا بأول؟ أم أن فارسًا هو من تابع تحركاتي جيدًا وجعلني أظنُّ أني أملكُ زمام الأمور كيلا يثير ريبة الفتاة الكامنة؟ مَنْ الأول فارس أم نزيه؟ وما كان قصد نزيه بـــ "اللي عملته دا لمصلحتك!" وهنا يقصد آسرًا، آسر الذي لا يطيقه فارس، ويبدو أن الشعور المتبادل مريح سواءً كرهٌ أو محبةٌ. لكل من هؤلاء حكاية. اختلفوا فيما اختلفوا واجتمعوا على أن يجدوا ضالتهم في الأمة لله. أريد أن أتحدث مع أي شخص الآن فرأسي لن تحمل هذا وحدها. قررت أن أحكي لـــفرح كل ما حدث..

– فرح

- رؤى.. بارد عليكي من الأيفون الجديد مش عاوزين قر وعين وحشة بقى.

- انـــ..ـــتي فين كدا؟

- في البيت.

- عاوزة..أشوفك ضروري.

- طب خليها بكرة عشان مش قادرة فعلًا. حاجة حصلت ولا إيه؟

- امـــ..ما اشوفك.

- فل، سلام.

أااه يا رأسي المسكين. من أنت يا فارس؟ وما قصتك؟ لا أعلم! كل ما أعلمه أني ضحيتُ بآخر ذرة منطق وقدمتُها قرابينَ لضميرٍ أباها وأباكَ، فأبيتُه لأجلك، وشيّعتُ سيفًا لمثواه الأخير من ذكرياتي لأجلك أيضًا. أكاد لا أصدق. أتعلم يا من دخل القلب ولم يُحسن السكنة، لن أسامحك؛ فدخول القلب ليس كخروجه؛ لذا لن أنتظر حتى غدٍ. أتريد اللعب؟ لنلعب إذًا.. نعم سأقبل عرضك يا فارس. حملتُ الهاتف مرة أخرى وفتحتُ الـــlog لأتصل به لأجد! آخر مكالمة من هاتفي كانت لـــفارس!

***

لا أفهم! لقد أنهيتُ للتوِّ اتصالي بــفرح منذ دقيقة واحدة واستغرقتْ مكالمتُنا 50 ثانية! ثم أرجع لأتأكد من رقم فارس. فتحتُ رقم فارس وفرح لأجد أن كُلًّا منهما منضمٌّ أصلًا لشركة اتصال مختلفة. أتأكد من تواريخ مكالمات فارس أجدها صحيحة وأننا تحدثنا في نفس المواقيت وفرح كذلك! ماذا يحدث؟ هل قطعتْ هلاوسي شوطًا مهمًّا في بحر الخيالات. هل أُصبتُ بــبارانويا بجانب الأفيزيا وأصبحتُ متعددة الأعراض الأولى في البلاد؟ هل...؟ هل فعلًا كلمتُ فارسًا بالخطأ وردتْ.. فرح! إنها تمطر بالخارج وكأنها لم تمطر من قبل، ولكن هذا ليس سببًا كيلا أبرح مكاني. ارتديتُ معطفي وانطلقتُ بسرعة جنونية إلى منزل فرح. رعشة تزداد رويدًا رويدًا لم تمكني من السيطرة على تارة القيادة. واجهتُها لأستكمل فضربتُ ركبتي التي صَعَّبَتِ المهمةَ تمامًا. هطول الأمطار هو الآخر يزداد شيئًا فشيئًا حتى أدركتُ أني على بعد ثوانٍ من حادثة أليمة إن استمر

الوضع. وقفتُ مدة ثوانٍ حاولتُ فيها تنظيم أنفاسي، وسألتُ قلبي أن يكفَ عن الضرب، واستكملتُ القيادة في تحسن طفيف حتى وصلتُ، وألمح من بعيد سيارةً سوداء أمام عمارة فرح.. اقتربتُ أكثر.. BMW.. اقتربتُ أكثر.. BMW سوداء كابورليه.. سيارة فارس. أو تشبهها. بالتأكيد مصادفة. قرار نزولي من السيارة لم يكن سهلًا لهطول أنهار لا أمطارٍ على عكس باقي أيام الصيف! ولكني قاومتُ وضربتُ نظري على زجاج شقة الدور الأول حيث تقطن فرح. لم تمنع الأمطار رؤية ظهر أحدهم، أعلمه جيدًا سحب فرحًا مكانه والتهمها. فارس مع.. فرح!

***

ظللتُ منتصفَ الشارع كالبلهاء محملقة عينَيَّ صوب النافذة، وعقلي يرفض ما تراه عيني. ينهمر المطر أكثر أو أنها السماء تبكي على حال فتاة فقدَتِ النطقَ مسبقًا، واليوم فقدَتِ الإحساسَ بأطرافها التي تجمَّدت في البرد وسط نظرات الناس استغرابًا! لا يرون ما أرى!

احتجتُ أكثر من دقيقة كي أبرح مكاني. كل ثانية كانت تَمحو سنةً من علاقتنا.. "يا بنتي إيه اللي موقفك في البرد كدا؟ اطلعي لا تستهوي" احتاجتْ تلك الجملةُ أن تُكرر ثلاثًا كي تقطعَ أفكاري وتلفتَ انتباهي. نظرتُ إلى مصدر الصوت فإذ بتلك العجوز وعينَاها تسألانني الرحيل بعد أن أثرتُ شفقتَها. نظرتُ مرة أخرى إلى النافذة حيث فارس يُرجعُ خصلات شعر فرح تمامًا كما فعل معي فوق التبة. ضاقت بي نفسي. نظرتُ للعجوز مرة أخرى وركبتُ سيارتي. خبرٌ سيءٌ وخبرٌ..أسوأ. السيء هو خيانة فرح والأسوأ أن هذا لم يكن حلمًا.. ربما كابوس!.. فرح؟.. أختي! ضيقُ تنفسٍ، انتابتني رغبةٌ في

انتشال نفسي من الحياة كلها. انطلقتُ بسرعة كبيرة غير عابئة لا بمطر أو غيره ناحية الجزيرة. لا أعلم ما أنتوي فعلَه، ولكننا على بعد مئات الأمتار من برج القاهرة. مخي محصور في الحبيب الذي لم يكن حبيبًا.. الاختصاصي الذي لم يكن اختصاصيًّا.. فرح التي باتت عزاءً أخذه قلبي الذي امتلأ سوادًا فصعد البرجَ كي يسدل الستار ويُحيِّي الجمهور. فتاة ملعونة.. وستموت يومًا فلِمَ لا أعجل بنهايتي؟ لن يشعر أحد إن أصبح العالم 9 مليار إلا 1. صعدتُ درجة من المانع الحديدي. أولُ مرة أصعد فيها برج القاهرة ستكون كيلا أصعدها ثانية. لا تحتاج أن تموت كي تكون ميتًا، فقبل ذلك مات قلبي وضميري وكلماتي وكل ما نحتاجه هي شهادة الوفاة كي أرفع العبء لمن يهتم بأمري، إن وجد. أنا وفرح.. على أحدنا الرحيل وعلى ما يبدو أنها مستمتعة بما هي عليه. يزداد الهواء وكذلك المطر. طالما سخرْنا أنا وفرح من كايت وينسلت حينما حاولت الانتحار من على ظهر تايتنيك. لن أنتظر حتى أستعطف ليوناردو دي كابريو بل سأقطع رحلة ذهاب بلا عودة. حاولتُ أن أعيش مع الأفيزيا وزادتْ فرصي مع نزيه الذي استغلني وسلمني تسليمًا، فارس الذي لأجله خُنْتُ ذكرياتي، فرح التي رضعنا من ثدي أمي معًا! حتى سيف.. تركني ورحل. أنا عالة على القدر وضعيفة الإيمان به، سأبتعد ربما يكون هناك جديد في العالم الآخر.. أعلم أن الانتحار فنون. ربما اختلفتْ أساليبُ انتحارنا لكننا اجتمعنا على فصل الروح عن الجسد، وأخذ

إجازة غير مدفوعة الأجر. يعرفُ المنتحر أنه يموت كافرًا، ولكني لا أرى من حولي إلا الكفرَ البواح في تفاصيل حياتي ومن كل ما حولي.. أعترفُ أني أضعف من أن أواجه. تعبتُ من التحليلات والألغاز والصدمات.. تعبتُ.. تعبت.. صعدتُ درجةً أخرى. يصفعُ الهواءُ وجهي ويبعثر شعري وأنا على قراري. أسرع قرارٍ لي. بات من الصعب الحفاظ على اتزاني كثيرًا بعد تلك الدرجة فأصبح نصفي بالخارج. لن أجعل الهواء هو ما يعصف بي ويرميني فهذا قراري ورأيي.. بينما هناك من كان له رأي آخر.

– الانتحار يعتبر إشهار إفلاسك الفكري في حساب بيتولاه الشيطان (أومأ برأسه ناحيتي).. ودا مش شبهك.

***

كان مستلقيًا، ظهرُه للسور، ركبتُه اليمنى ضُمَّت قليلًا ناحيتَه واليسرى مستقيمة، وسيجارته توسَّطت السبابة والوسطى اليَمينيَّتَيْن. لم يكن هناك حينما تأكدتُ من انشغال الأمن بالمشادة التي حدثتْ بين متحرشٍ وإحداهن. هل تتبعني؟ جاء بحكمته في الوقت الخطأ فآخر ما يحبُّ أنْ يسمعه المنتحرُ هو صوت الحكمة والعقل؛ فأنا على يقين بأن الانتحار مَسٌّ شيطانيٌّ لا يفارقك إلا بعد التهاوي. شيطانٌ خبيثٌ انتهز الموقف وصعد بك إلى أعلى نقطة لأخذ كلمتَيْن على انفراد. هم آخر كلمتَيْن حتى ظهر.. آسر..

– إنت مراقبـــ..ـــني؟

– أه، وبصراحة زهقت.

–..!

– وأما انتو مش قد الانتحار بتقطعوا تذاكر البرج ليه؟ فلوس حرام هي؟

– مش قولت مش...اظهر (هاظهر) تاني غير امــ..ــا تحتاجيني؟

– انتي هتنتحري ولا هنحكّي؟

سكتُ و نظرتُ أمامي..

– امم شكلنا هنحكي

أخذ آخر نفس و نهض ثم اقترب خطوتين ناحيتي حيث باغتُه

– خط...وة كمان وهانط (رفع يده وتسمر مكانه)

– فعلا؟ هتنطي؟ تؤ تؤ ماعتقدش! كنتي نطيتي من نص ساعة. انتي مش بتاعة انتحار انتي بتاعة فضفضة. انتي مشكلتك إن اللي بتفضفضي معاها طلعت بنت كلب مش أكتر ويوم ما فكرتي تواجهي جيتي هنا. رؤى (بدأ يُنْزِلُ يدَيْه وهو ثابت مكانه) أنا متابع خط سيرك وتليفوناتك بقالي فترة ومش عاجبني طريقة معالجتك للأمور. رؤى حاطة عقلها في فريزر وسايبة مشاعرها عالنار بتغلي ودا طبيعي يؤدي للنتيجة اللي شايفينها دلوقتي أنا مش مستغرب. أنا فعلا مش هنا لا أقنعك ولا أقررلك بس انتي قدامك حل من الاتنين. تدي لحياتك كارت أحمر وتوهمي نفسك إن غلطاتك نقطة مالهاش يو تيرن (توقف هنيةً) أو...

– أو إيه؟

– شايفة؟ أديكي مستنية الــ أو (ابتسم) قولتلك هتحتاجيني

واستدار ورحل!

ها؟ بكل تلك البساطة؟ تلك الـ أو.. أوحت لي بأن انتحاري القرار الأضعف وليس الأوحد. تلك الـ أو خيرتني بين ما أنا عليه الآن وما يجب على أن أفعله، فهدأتُ قليلًا من ثورة غضبي، وأعدتُ التفكير في جُلّ الأمر. أطلقها آسر فسحب معها الزوبعة والفنجان، وبالفعل لم تمرَّ دقائق، وتجلت الشمسُ وحل النور بعد أن خف المطر رويدًا رويدًا حتى توقّف وكأنها علامة. نزلتُ درجة وانتظرتُ قليلًا حتى هدأت تمامًا، ونزلتُ الأخرى. انتظمتْ أنفاسي، ونزلتُ السيارة. أخرجتُ كارت آسر من الحقيبة وهاتفتُه:

- أو إيه..؟

***

عدو عدوك صديقك..

ومَنْ عادى فارسًا وزبانيته هو على أتم الرحب والسعة. ويلٌ لكل ذكر من انتقام أنثى لم ولن تغفر. أما فرح.. فأنا ما زلتُ أحاول استيعاب الموقف! لم أشك لحظةً.. إنها.. فرح! ليس هناك أقذر من الخيانة! متى؟ لماذا؟ أين؟ كيف لم ألاحظ أنها كانت دومًا تحدثني بعد أو قبل مقابلة فارس مباشرة؟ كيف علم فارس مكان الكافيه؟ كيف علم أني أحب الورد؟ "اكدبي عليا وقولي دا فارس؟" هل كان بجانبها حينئذٍ! "بس مز فارس" هل كان جس النبض؟ فرح وفارس نَسَّقَا مقابلة الهضبة الوسطى.. كل شيء مخطط. رأس الأفعى الأخرى كانت تزوده بحالتي أولًا بأول، بل تقاوم وتقوّم "الأكاذيب الجميلة ماتخليناش نهرب من الحقيقة المرة" ثم انقطاع من فرح وظهور للفارس وحيدا على خشبة المسرح.. المخلّص الذي حرر الجميلة من الوحش آسر. في اللحظة التي دخل فيها الحمام في **On the run** اتصلت فرح! واختفتْ.. حتى عرض الزواج.. أفكر أنا.. تُحَفِّزُ هي "الفرصة

بنت جميلة راكبة عجلة ببدال". تويترا فارس لم يراجع كل هذه الـــتويتات بل فرح هي من أخبرته بمقصد أحلامي، لتختفي بعدها مرة أخرى بحجة الــ**closing**. كي يكفائها فارس بالــ**Iphone**. أها.. يتطابق كلٌّ من هاتف فارس وفرح؛ لذا ردتْ فرح من هاتف فارس. فعلًا.. متعة الخنزير هي اللعب في الوحل! ومن ناحية أخرى وكي يطبق على بشقَّيْ الرحى سُخِّرَ نزيه من أول يوم لتكون مرآة فارس العيادة وقصصها و.. شرائطها! إن صح هذا فــفارس على علم بمحتوى الــبدروم، وبأني أعلم عنه قصة الشبكة وابتزازه لــبيريهان الحسيني. مهلًا! فارس علم بمكان المخدرات وطريقة التخزين، ولذلك كان القبض على هند القشاش عن طريق أحلامي! فارس على علم أيضًا بأني رأيت أفغاني فقط في.. حلم!

فارس يتعامل مع أحلامي كمُسلّمات لا افتراضات ومؤمن بقوتي الخارقة في الرؤى، ولِمَ لا هي لم تَخِبْ! لهذا قدم السبت والأحد وكل أيام الأسبوع ليقترب من رؤى أكثر. هل أنا مزرعة تسمين وفارس وفرح ونزيه هم أرباب المزرعة؟ إن صح، فهذا سبب يكفي لتسخير أبي وأمي حتى وليس فرح. فما هو أثمن عند الضابط من قضية جرى تتبيلها وطهوها وتحتاج من يتناولها؟ فهمتُ الآن تشبيه نزيه لي البيضة والحية.. مهلًا! رسوماتي السيريالية. أتذكر أني رسمتُ شيئًا ما.. أتذكر جيدًا. الشجرة العتيقة.. الفروع المنكسرة بفعل فاعل.. حمامة مسلوبة روحها.. الوجمة.. حمامة أخرى وحيدة تأكل البذور.. الحية ذات الجرس المخلوع ولها يدا إنسان، الأولى تعتصر الحمامة ذات الوجمة والأخرى ناحية العشة حيث الحمامة الحزينة. من المفترض أن تلك

الوسمة لها علاقة بالواقع، ولكن كيف؟ لنفترض أن فارسًا الحية.. الجرس، فقد فَكَّه فارس كيلا أسمعه، إذا الجرس هو الوجه الخبيث و.. أنا الحمامة الحزينة التي تبيض في العشة والبيض هو الأحلام! لهذا لم يأكلني فارس كما أكل الحمامة الأولى؟ ولكن ما سر الحمامة الأخرى؟ لأراجع الصورة مرة أخرى. هُرعتُ إلى المرسم فلم أجدها..

بحثتُ مرة أخرى. أه.. لقد بعتُها! لتلك المرأة الخليجية بالزمالك. مهلًا! تلك المرأة بدا عليها علامات الدهشة وطلبت كل رسوماتي وخرجتُ من عندها، وقابلت فارسًا! القاعدة الذهبية: "لا شيء مع فارس يحدث مصادفة". لِمَ طلبت رسومات أخرى؟ هل لها دور؟! مَنْ تلك المرأة؟ حسنًا هذه الوسمة في غاية الأهمية فإن كنت أنتمي لهذه الشجرة فلِمَ تكسرت الفروع؟.. امم هل تكسرت بفعل فاعل فعلًا؟ أه.. هل تلك الحمامة هي أنا وتلك الشجرة هي شجرة العائلة؟ والفروع المنكسرة هي اللعنة؟.. وحزن الحمامة هو حالتي؟ والحية تقترب مني هي فارس؟ هل كان سيختلف الأمر إن كان أبي ما زال حيًّا؟ هل الملعون منير الشواف مر بنفس دورة حياة تلك اليرقة قبل وفاته؟ أقصد قتله! مقتل مفتش آثار في حادثة غامضة وتسجيل القضية ضد مجهول. ارتديتُ رداء الغضب واتجهتُ إليه لأجده يستمع للست.. "أهرب من نفسي أروح على فين؟" وَلأول مرة سأتكلم معه. "بابا مات إزاي؟"

***

الثامن عشر من حزيران 2010

9 أشهر على الأفيزيا

مسرح كبير.. شبه مظلم.. عدا عن ضوء سُلِّط على راقص دارى وجهه بقناع الحفلات التنكرية.. يتحرك بخفة الريشة على المسرح .. لا يسمعه النسرُ الكبير، طريحُ الأرض، ذو الأجنحة الذهبية، ذو رمحٍ في المنتصف، ودماء تسيل من حوله. اقترب منه وسحب السهم. في سماء المسرح نجوم متلألئة يقفز عاليًا كي يجنيها ويضعها على كتفه، فيسير منتشيًا بثلاث نجوم على كتفه اليمنى وثلاث على اليسرى.. ثم يتقدَّم مرة أخرى ناحية العشة وهنا.. يظهر راقص آخر أمام العشة مربعًا يدَيْه يتحرك الراقص المُقنَّعُ يمينًا فيتحرك الآخر يمينًا.. يسارًا يسارًا.. وكأنه حامي حِمَى العشة.. فيرميه الأول أرضًا ويحذره بسبابته ويقترب من العشة حيث تجلتْ فتاةٌ جميلة ذات ضفيرة وعيناها توحيان ببراءتها.. يقترب منها ذو القناع.. فيُمْسِكُ الراقص

الآخر بقدمه ويطرحه أرضًا، ويدور عراك حامي الوطيس ينتهي بإنهاكهما.. وخر الاثنان أرضًا.. ينهض الأول ويقترب من البنت، ولكن القناع يسقط وترى البنت وجهه القبيح فتهرب منه مختبئة بظهر الراقص الآخر. وينتهي المشهد بالاثنين مترصدين لبعضهما البعض.

واستيقظتُ..

ليلة صعبة وحلم أصعب. أظن أني أعلم ذلك الحلم جيدًا. المسرح هو الحياة، الراقصان هما شخصان مترصدان لبعضهما البعض. سقط وجه أحدهما القبيح فكان الآخر ملاذي الآمن، أفترضُ أن المقنع هو فارس ومن أحتمي به هو آسر، لكن ما تلك النجوم؟ أاه هي الرتب والدرجات التي يصعد عليها. ولكن من النسر ذو الأجنحة الذهبية الميت؟ وكيف انتهى المشهد؟ هل كان النسر يحرس الفتاة؟ أسئلة طرحت آخرها على جدي ليلة أمس دون أدنى ردة فعل..

–...

– جدو، إنت سامعني؟ بابا مات ازاي؟!

–...

– إنت ليه عمرك ماتكلمت معايا وعايش في عالم لوحدك؟! بابا اتقتل؟!

–...

لم أفهم! كل ما أفهمه أن الشخص الانطوائي هو من يستطيع الاستمتاع بحياته على انفراد. ذاك هو جدي. ماذا عن أبي؟ لِمَ لا يظهر أبي في أحد الأحلام ويروي لي القصة؟ ضرب حينها البندان الثاني والثالث من قوانين اللعنة برأسي. القانون الثاني: "لا يرى الملعون إلا المستقبل القريب وأصل اللعنة".. الثالث: "الملعون لا يرى ملعونًا". هذان يقفان حائلًا بيني وبين رؤية ماضي أبي. فتحتُ المذكرات.. أتذكر آخر السطور.. قلبتُ الصفحات إلى النهاية "ويبقى السر مع كاتم السر" ما ماهية هذا الشيء؟ وكيف أجده؟ وفي نفس الوقت انتهت اليوم مهلة فارس الذي سأهاتفه حالًا..

***

- ألو.

- أخيرًا؟

- إنت مش النهارده عيد ميلادك؟!

- أكيد مش هتنكدي عليا يوم عيد ميلادي.

- دي تيجي؟ قولي انت نازل الشغل؟

- أه هاخد شاور وأنزل.

- طب بص يا سيدي سيبلي المفتاح تحت المشّاية عملالك مفاجأة.

- هو دا.

- ماتنساش طيب.

- طب إيه هتفضلي وحشاني كدا؟

- أه خليني وحشاك

- وبعدين؟

- ماتنساش المفتاح بس.

- المفتاح وصاحب المفتاح.

- باي.

من المفترض أن تظل ثقة فارس في رؤى على ما هو عليه وإلا فُضِح أمري، ومن المفترض أن تظل ثقتي به كثقة القط بأمه قبل أن يبصر، خاصةً بعد انتشائي من تقدم ملحوظ في حالة الأفيزيا تلك. انطلقت لشقة فارس رفعتُ المشاية وها هو المفتاح. فتحتُ ودخلتُ. أنا الآن في بيت الحية أو متحف النحاس! فكل شيء هنا مصنوع من النحاس حتى الـــتابلوهين في مرمى البصر على اليسار صورة لـــفارس يحمل سيفه! وكذلك الطفاية.. وآنية الزهور على المنضدة. تركتُ البلالين الـــهيليوم فرُفعَتْ إلى السقف وكذلك حاولتُ تعليق الزينة، ولكن لَمْ أطَلْ نقطةً أعلى على الحائط، وكانت هناك منضدة عالية بجوارها فازة فأخذتُ كرسي الطاولة وقربتُه للمنضدة ثم وضعتُ قدمًا على الكرسي وأخرى على المنضدة. حاولتُ رفع يدي قليلًا لأعلق الزينة بأعلى نقطة.. رفعتُها أكثر.. فانزلقتْ قدمي ولمستُ الـــفازة التي سقطتْ و أثارت ضجة فتوترتُ و نزلتُ سريعًا كي أعيدها لأملح شيئًا.. حجمُ ذبابةٍ قد تناولت وجبة فطورها للتوِّ.. ذو

فتحة اتصال.. كان مُخَبَّأ داخلها.. أعتقد أنه.. **USB**.. فضول.. لابتوب فارس على المنضدة أيضًا. فتحتُ الجهاز دون تفكير فطلب الـــباسوورد... ااخ.. جربت **FARES**.. كلمة مرور خاطئة.. **SAIF**.. كلمة مرور خاطئة.. **POLICE**.. كلمة مرور خاطئة.. أااه كيف لم تخطر ببالي؟ لأجرب عيد ميلاده **1861980**.. كلمة مرور خاطئة! تبقّى لي محاولة واحدة. جربتُ كل شيء. فكرت في تلك الكلمة. تبدو منطقية، ولكن يجب أن أتأكد أولًا من الحروف وعددها ثم خطرت لي فكرة.

– ألو.. فارس باقولك.

– طب رؤى أنا مشغول جدًّا دلوقتي.

– هو سؤال.

– ها.

– أحطلك كام بلونة؟

– بتهزري يا رؤى؟ باقولك مشغول.

– إيه أكتر رقم بتحبه بس؟

– **6** يا رؤى **6**.

تمامًا كما توقعتُك. دومًا ما يعتز ببرج الجوزاء ويتطابق معها عدد الحروف إن كتبناها بالإنجليزية **G E M I N I**.. نقرت **enter**

ليظهر لي "جارِ التحميل"..! فعلا؟ ووضعتُ الذاكرة في مكانها حيث ظهر مرة أخرى "جارِ التحميل". ليظهر لي ملف واحد فقط دون عنوان..فتحتُه لأجد.. فيديو..

شاب وفتاة وجها لوجه على السرير! لا يبدو لي فيلما وثائقيًا.. شابٌ متكئٌ على مؤخرة السرير ممددًا رجليه، يجلس عكس الكاميرا فيبرز ظهره غير الرياضي، المظهر في مواجهة أنثى طُردت مؤخرًا من برج العذراء على ما يبدو. جلوسها بنفس وضعيته يظهر ملامحها الفاتنة، ابتسامة راحت براءتها وشعر أحمر كستنائي بفعل صبغة **Wella**، يدُها اليمنى زُيِّنَتْ بكريزة حمراء من الداخل. لا أخفي إعجابي بالتقنية العالية للكاميرا التي أظهرت كلَّ ما لذ وطاب من الأخت عن مسافة ليست بقريبة، وبأسفل السرير ترى علبة واقٍ ذكريٍّ ماركة **durex**. غلبتني الحيرة! لِمَ يحتفظ فارس بمثل هذا الفيديو؟ ولِمَ يخبئه بهذه الطريقة؟ رغبتي الملحة في التقيؤ عقب أول نظرة لشاشة اللابتوب لم تكن كافية لإقناع فضولي الذي طلب في أدب جم التدقيق بتلك اللوحة لسبب ما ومعرفة السر وراء إخفاء فارس لمثل هذا الفيديو فنقرت **enter** ودار الحوار..

***

- بيبي

- همم.

- إنت إيه أكتر حاجة عجبتك فيا؟

- كونك ليبرالية متحررة في مجتمع شرقي ذكوري متعفن.

- لا بجد إيه اللي لفت انتباهك ليا؟

- ده سؤال برضو! ده انا كل ما فيا واقفلك انتباه.

- سافل.

- وانتي بتبيعي سبح مثلًا؟

- ماحدش لازم يعرف اللي بينا نهائي.

- انتي خايفة من إيه؟

لا أعتقد أني أغفل هذا الصوت، متطابقان لحد رهيب!

- إنت بتهزر؟ دي ممكن تدور حرب بينهم لو الفيديو دا اتشاف.

- شيري إنتي هتزاولينا ليه؟ ما صباح الفل.

- أنا بس باقولك.

- انا اتفصلت على فكرة.

- لا ماتفصلش دلوقتي.

- مش كدا؟

ثم حرَّك يدَه اليسرى ناحية خصلات شعرها ليظهر تاتوه نصل السيف عند اليد من الداخل وتخرج منها حربة حادة ثم.. انقطع الفيديو! رجعتُ ثواني.. الـتاتوه يتطابق لحد كبير.. أُشَغِّلُ آخر مشهد مرة أخرى.. نبش الشكُّ في خرابة أفكاري.. فهرعت إلى تويتر.. الـتويتات القديمة.. هو نفس الـتاتوه.. ليلة الحادثة.. أسفل الفيديو على الشاشة يظهر تاريخ التصوير 2-6- 2010.. سيف حي؟!

***

مقر أحد الجهات السيادية

لم تبدُ على وجهه أي قناعة بما أسفرتُ وبما أعلنتُ فاستنكر:

– أه وبعدين؟

– وبعدين إيه؟ جيتلك! قولتلي أول ما تعرفي حاجة بلغيني.

– رؤى أنا قابلت بيريهان الحسيني وحققت معاها وهددها إننا على علم بصلتها بشبكة هند القشاش ولحنالها إن علاقتها بحد مهم في الجهاز مش هتحميها، وحاولنا نعمل **deal** إنها تبقى شاهد ملك لو اتعاونت معانا.

– هايل

– هايل إيه؟ أنكرت طبعًا!

- وبعدين؟

- مشيتها.

- مشيتها!

- ماعليهاش حاجة! أنا أشَّرت إن كل تحركاها ومكالماها هتتراقب من أول النهارده.

- أنا متأكدة إنها بلغت فارس باللي حصل بينك وبينها.

- رؤى إنتي متأكدة من موضوع اللعنة والأحلام دا؟ (باستنكار بعد نفس سجائر).

- لو السؤال دا اتكرر تاني اعتبرني منسحبة.

- تعالي نبدل أماكن يا رؤى هتتصرفي ازاي. أنا واثق فيكي بس الأحلام مش كفاية. احنا محتاجين دلائل.

- آسر معلش انت قولت إن جالك عالموبايل رسالة تهديد ليلة استدعاء بيريهان ممكن تقراهالي.

- أنا بيجيلي رسايل زي دي بحكم شغلي والقضايا اللي بامسكها. دا مالوش علاقة.

- آسر إنت مصدق إن سيف عايش ولا لأ؟

- طب خلينا ماشيين. مين البنت دي؟ وليه فارس يخبي فيديو زي دا بالطريقة دي؟

- ما دي بتاعتكو بقى

حاول أن يداري انفعاله حينما فضحَه كوبُ القهوة الذي ضرب به عرض المكتب.

- رؤى إحنا بنشتغل بالمعطيات اللي قدامنا.

- طب وأحلامي دي..

- هري (قاطعني) مش بالنسبة لي، أنا باتكلم على إننا نحرك قضية فدا هري.

وحينها دخل أحدهم مقاطعًا:

- آسر بيه.

- أنا مش قولت مش عاوز حد يخش علينا.

- يا فندم الخبر بخصوص بيريهان الحسيني.

- انطق.

- اتقتلت يا فندم!

- نعم؟ امتى!

- لسه حالًا.

– في قوة طلعت تعاين الموقع؟

– حصل يا فندم.

– طب انصرف إنت دلوقتي.

– أمرك يا فندم.

توقعتُ ضررًا ما لــبيريهان بعد مقابلتها آسرًا ولكن ليس بهذا السوء و هذه السرعة، وبنظرة ثقة استنكرتُ:

- هري ها!

بدا متعمقًا في شيءٍ ما فأخرج الموبايل، وقرأ رسالة التهديد مرة أخرى بصوت عالٍ: "آخرها حيطة سد وهتتهد على دماغك" وتساءل:

- معقولة يكون هو؟

- اللي بعت المسج ولا اللي قتل؟

- اللي بعت هو اللي قتل!

- (ثم نهض) عالعموم هيبانلنا كذا حاجة من الفريق اللي هيعاين الموقع. رؤى أنا لازم أروح أجيب أختي وبالمرة أوصلك.

نزلنا السيارة وبدا على آسر التركيز الشديد وبدأ:

– رؤى انتي قولتيلي إن فارس كان بيهدد بيريهان بفيديو قدام إنها تقر.

– مظبوط.

– وفي نفس الوقت الفيديو اللي شوفتيه في شقه فارس كان...

– أه الهري..

فابتسم وأكمل:

– في حاجة جات في بالي.

– أنا بافكر في اللي بتفكر فيه.

– هل فارس دايمًا بيستخدم النوع دا من الابتزاز عشان يوصل لحاجة؟ ولو كدا؟ هل هيقايض الفيديو بحاجة؟ إيه الحاجة دي؟ ومين البنت اللي في الفيديو؟ في كام حاجة لو ركبناها على بعض هتركب.

– إحنا لازم نسبق بخطوة اديك شايف.

– إحنا لازم دليل على كلامنا يا رؤى وصحيح خلّي كل كلامنا عالواتس اب عشان مش ضامن تليفونك.

وصلنا النادي..

– ثواني هاجيب أختي وأجيلك.

– أوكي.

وانصرف آسر تاركًا لي الخوض في ذات المشهد الذي رسمه سيف منذ البداية حينما أقنع تلك المغفلة بوفاته، تلك المغفلة فقدتْ حروفًا وأصيبتْ بـأفيزيا وارتدتْ الأسودَ. مخططٌ وضعه فارس بعناية. جنَّد سيفًا لأقع في حبه ثم يموت سيف تاركًا لي كارت أخيه الذي هاتفتُه لأحكي له قصة الوفاة، ثم أذهب لـنزيه الذي يعالجني من أفيزيا التي كانت خارج الخطة. ظهرتِ الأفيزيا فظهر نزيه الكوبري الذي ينقل أحلامي من جهة لأخرى. يختفي سيف فعليًّا وعاطفيًّا كي يفتح الطريق للعاشق الولهان لتنفيذ مخططه الذي من المفترض أنه يسير بعناية، فوفقًا للخطةِ فارس ما زال يريد الزواج بي لأجل قضايا تزن ألماسًا لا ذهبًا، قضايا خالصة دون أدنى شائبة مستندًا إلى أحلامي، ولكن يبقى السؤال: كيف علم فارس عنِّي؟ كيف كان على يقين أن أحلامي ترى الواقع ولا تخيب؟ مهلًا السؤال الأهم هو: لماذا سيف؟ لِمَ جُنِّدَ سيفًا أولًا ثم ظهر فارس لاحقًا؟ لِمَ لَمْ تقتصر حبكةُ الفيلم على بطل أوحد هو فارس؟ لِمَ وزِّعت أدوار البطولة بالتساوي؟ ما أتأكد منه أن الخريف لن يزول إلا بسقوط ورقة التوت الأخيرة، وأنا بدوري سأحرص على ذلك. وداعًا للأدوار الثانية. وفي تلك اللحظة بالذات كان آسر يوقظني من شرودي بمناداتي:

– رؤى.. رؤى.

فانتبهتُ لذراعٍ مغطًى بـــكارديجان زهري اللون تخرج منه يدٌ للسلام. نظرتُ لأعلى فإذ بصاحبة الشعر الكستنائي مبتسمةً لي!

– شيري أختي.

***

"شيري أختي"! أكاد أقسم أنها نفس الفتاة التي كانت بالفيديو!

– رؤى! في حاجة ولا إيه باقولك شيري أختي؟

وبأطراف مرتعشةٍ، ويد باردة صافحتُ شيري وبؤبؤا عيني لم يتزحزحا عن عينَيْها..

– هاي ازيك؟

خطرتْ لي فكرةٌ في تلك اللحظة بالذات كي أبني سدًّا يقطع الطريق إلى الشك، فاستطردتُ سريعًا:

– بس انتي ازاي مستحملة الكارديجان دا عليكي؟

– مش كدا؟ أنا فطست فعلًا.

قامت بخلع الـــكارديجان من ناحية يده اليسرى فأراها نظيفة ثم أخرجتْ يدَها اليمنى فصُعِقْتُ حينما لمحتُ تاتوه كريزة حمراء!

- طب رؤى، يالا احنا لازم نتحرك دلوقتي.

-....!

- رؤى؟!

-... (عيناي على الـــتاتوه).

- رؤى!

- التاتوه تحفة.

فرد آسر وسط اندهاش شيري لاندهاشي..

- طب يللا بينا أوصلك.

- لا أنا هتمشى شوية.

- تتمشي إيه يا بنتي؟ تعالي أوصلك.

- معلش سيبني براحتي.. سلام.

- زي ما تحبي، سلام.

أتكلمُ.. أسكتُ.. أتكلمُ.. أسكتُ.. قد تحدث جريمة كاملة إن تفوهتُ بكلمة وقد تنشبُ حربٌ عالمية ثالثة بين فارس وآسر ناهيك عن شيري التي لن تصبح شيري لذا..

- آسر

أدار ظهرَه

– في حاجة يا رؤى؟

– ها.. لا مفيش؟

–..! دا إيه دا!

– لا لا ولا حاجة.

واستدرتُ واستدار ثم..

***

أوقفتُ تاكسي..

أكاد لا أصدق ما يجري من حولي، وكأن حياتي تحولت لفيلم كارتون لا يمت للواقع بصلة، وتلك الشخصيات هي من خيال والت ديزني. فتاة الفيديو التي استدرجها فارس إلى سيف هي شيري أخت آسر، وعدوه اللدود! لكن لماذا؟ فارس يستخدمه مثل أسلوب لابتزاز خصومه فلماذا يبتز آسرًا؟ هو يعلم أن آسرًا ينبش وراءه، وأنه استدعى بيريهان الحسيني. هل يعدُّ الفيديو كارت إرهاب قويًا سيستخدمه في الوقت المناسب؟ لِمَ يلعب فارس بمفرده ونحن رد فعل؟ وجب معرفة الكثير عن عدوك كي يتسنى لك لحظة هجوم مناسبة. في التاكسي خطرت لي فكرة يلزمها تعديل بوصلة التاكسي فأطلب منه أن يتجه للزمالك حيث يقطن فارس. ولكن طمأنة عدوك قبل تغفيله هي القاعدة الأولى لذا أخرجتُ الهاتف واتصلتُ..

- ألو.

- رورو.

- وحشتني على فكرة.

- يااااا فرج الله.

- إنت كويس؟

- لا والله يا رؤى أنا عمال باتخزوق ادعيلي عشان في حرب عليا.

- إيه دا ليه كدا؟

- هو في غيره بوز الإخص.

- آسر؟

- عارفة يا رؤى اللي بيجيله كانسر في دراعه وخايف ليضرب في جسمه كله، أهو آسر كدا لازم يتقطع.

- ربنا معاك هو النضيف في البلد دي بيتحارب.

- طب إيه مش هنتجوز؟

- مستعجل على إيه؟ جدي تعبان بس اليومين دول شوية يخف وتقابله.

- يقوم بالسلامة.

- هتخلص شغل امتى؟

– والله يا رؤى شغلانتنا دي عاملة زي الطاقة المتجددة خلاصها بخلاصنا.

– بعد الشر. ابقى طمني عليك.. باي.

– سلام.

وصلنا. فارس ليس بالمنزل فاطمأننتُ للخُطة. لن أصعد الدور الأخير تلك المرة. استوقفني البوابُ:

– يلزم خدمة يا ست الكل؟

– طالعة لمدام ليلى.

– مدام ليلى؟!

– الست الخليجية اللي في التاني.

– أااااه مدام ليلى. بس دي كانت مأجرة شهر ومشيت من زمان.

– مشيت؟!

– أاه هي في مصر شهر تصيف ورجعت.

– طيب شكرًا.

استأجرت شهرًا فقط! مَنْ تلك المرأة؟ وما دورها؟ حسنًا، إذًا لنمسك بأول طرف بكرة التريكوه. فرح تشجعني على أن أبيع

لوحاتي. نفكر معًا لمن؟ المرأة الخليجية ذات الثراء التي تدير حسابها فرح. أه فتشتري مني اللوحة إذًا... أها التي بدورها تفهم وتحلل ما يدور في رأسي من تحليل لوحاتي ثم.. تخبر فارسًا عن مستجدات حالتي.. لذا طلبت رسومات أخرى.. ثم سافرت بعدما اقترب فارس وأحرز نقاطًا كيلا أجدها ثانية.. يا أولاد الـــ...! بينما كنتُ أغوص بأحلامي الوردية كانت تُحضِّر اللدغات بحظيرة الأفاعي على قدمٍ وساقٍ. ماذا عن حلم المطار؟ أحدهم كان يحرك قطعة الشطرنج "أنا مارميش طعم وماطلعش بسمكة" هل كان هذا فارسًا؟ الطائرة التي كانت تتجه لأبو ظبي.. هل هذا سيف؟ كان يختبئ هناك كي يظل بعيدًا عن الأضواء! هل هو الطعم؟ هل أنا السمكة؟ ويبقى السؤال: كيف علم عني فارس؟! "ويبقى السر مع كاتم السر".. "يبقى السر مع كاتم السر".

***

حدسي يُنبِئُني أن تلك الكلمات هي الشفرة.. أهو ماذا أم من؟ شيء أم شخص؟ مكان أم زمان؟ قريب أم بعيد؟ هل تلك الكلمات هي آخر ما كتب أبي؟ كاتم السر.. أي سر يكتم؟ وإلامَ يوصلنا؟! ألا مجال لعطلة لذهن يوشك على الانفجار؟

– تاكس.. المهندسين.

– اتفضلي يا أبله.

أغمضتُ عينَيَّ وفصلتُ نفسي عن كل ما يدور من حولي وساعدني على ذلك بعض الآيات القرآنية، وحل السكون في التاكسي عدا عن قراءة الشيخ: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" فتحتُ عينَيَّ فجأة، وكأن تلك الآية تقرأ أفكاري.. ذِكر.. السر.. عم "ذِكير".. صديق العمر لوالدي.. كيف لم يأتِ هذا في بالي مطلقًا؟ وهنا قد وصلنا المنزلَ فحاسبتُه ونزلتُ. أخذتُ سيارتي

وانطلقتُ صوب مترله بشبرا وأنا كُلّي أمل.. نزلتُ وصعدتُ الدَّرَج على عَجَلٍ وضربتُ الجرسَ.. سكون.. نقرتُ على الباب.. سكون.. "عم ذكير".. ظللتُ أناديه كالبلهاء وأنا أضرب الباب بقوة.. حتى فتحتْ جارةٌ في أواخر الخمسينيات..

- إيه.. إيه مالك يا بنتي عاوزة مين؟

- مش دا بيت عم ذكير؟

- أه بس هو عزّل من فترة.

- عزّل ازاي؟!

- يعني إيه عزّل ازاي؟ عزّل زي ما أي حد بيعزّل.

- ماتعرفيش عنوانه؟

- والله يا بنتي علمي علمك.

- طيب شكرًا.

- ربنا يوفقك يا بنتي.

ورحتُ أجرُّ ذيولَ الخيبة، وفتحتُ باب السيارة حينما استوقفني ذاك الحديث الذي يدور بين بواب العمارة وأحدهم يشرف على نزول الأثاث بعناية..

- حاسب يابني الخشب بيتجرّح.. يللا طلّع عالدور التاني على إيدك الشمال.

تلك هي شقة عم ذكير، على الفور ذهبتُ إليهم وسألتُ:

- هو حضرتك مستأجر؟

- إن شاء الله هو مأجرلك انتي كمان ولا إيه؟!

- ممكن أعرف اسم اللي مستأجر منه؟

- لا أنا خلصت عن طريق عم "ضيا".

- عم ضيا؟

- سمسار الحتة.

- ودا فين؟

- هتلاقي في الشارع اللي ورا (ثم صاح) يابني جرّحت أم الخشب (ورحل)

دخلتُ السيارة متجهة إلى الناحية الخلفية، وسرتُ ببطء في الشارع حتى لمحتُ مقهى وبجانبها يافطة لَبَنِيَّة خَرَجَتْ من عند أردأ خطاطي المدينة، وبلون أحمر: "وسيط عقارات تمليك وجديد ومفروش" وذُيِّلَتْ برقم الهاتف وبجانبها جلس قمحيُّ اللون في عباءته الرمادية، ولفح رقبتَه بشالٍ رمليِّ اللون. يجلس مباشرة تحت سحابة دخانٍ بفعل الشيشة التي يعتصر ثغرُه ليَّها. اقتربتُ منه..

– عم ضيا؟

ليترك اللّي وينتبه إليّ وينهض..

– اؤمري يا ست الكل تمليك ولا مفروش؟

– لا دا ولا دا، أنا جاي أسال على حد انت بتتعامل معاه.

وهنا اكفهر وجهه وبنبرة غير مرحبة:

– لا مؤاخذة امدمازيل مابنتعاملش مع مكاتب عقارات.

– لا انا مش مكتب انا جيت أزور حد لقيته عزل.

– ما تكلميه في التليفون.

– كنت كلمته طبعًا لو معايا نمرته.

– إنت بتشغلي دماغك عليا امدمازيل؟ سوري يا أبله ماتلاقيش.

– يا سيدي والله ما عقارات انا عاوزة اوصل لعم ذكير بأي شكل

ثم فكر قليلًا..

– هاكلمهولك من عندي.

– الله يخليـــ..

– المكالمة بمية جنيه.

لهفتي فضحتني فحاول استغلالي ابن الـــ....، حاول استغلالي ولكن هذه فرصتي الأخيرة. فطلب الرقم ووضع الهاتف على أذني "الهاتف ربما يكون مُغلقًا. حاول مرة أخرى".. نفس الرسالة. فأعاد المئة جنيه..

– يللا الحرام مابيدومش.

– يا عم ضيا أبوس إيدك هات العنوان.

– ماقدرش يا ست هانم.

– يا عم ضيا انا فاهمة انت بتقول إيه بس والله انا ما مكتب عقارات، بعدين مانت هتعرف مين راح ومين جاه انت اللي مسكّن الحتة.

ففكّر ثم مدَّ يدَيْه فأخرجتُ المئة جنيه لأسمعه..

– الدوبل، دا صوت وصورة

تملكتني رغبة ملحة في البصق على وجهه. وها قد دام الحرام!
سلمتُه مائتي جنيه، وكتب لي العنوان على ظهر علبة سجائره المهترئة فسجلتُها بالهاتف ورميتُها وأدرتُ ظهري..

– العفو امدمازيل.

استقليتُ السيارة وطِرتُ إلى العنوان. أحاول ترتيب أوراق بُعثِرَتْ هنا وهناك. كيف أبدأ الحديث؟ ماذا أقول؟ ...إلخ ووصلت في ثوانٍ ونقرتُ الجرس حيث فُتِحَ البابُ ورآني فراحتْ ابتسامته وتجمَّد كمن رأى جِنّيَّة البحر خارجةً!

***

تَرَهْبَنَ عم ذكير وطالت نظرةُ "فِرَّ منها كما تَفِرُ من الأسد" التي لم تفارق عينَيْه. لم يتوقع أن يراني يومًا على ما يبدو، ولكن ها أنذا ابنة المرحوم بشحمها ولحمها. ماذا تفعل هنا؟ لم أتَتْ؟ كيف عرفت العنوان؟ تلك أسئلة تجول بخاطره الآن. صَدْمَتُه أجْلَتْ منطقية ترحيبه المبتذل..

- رؤى بنت الغالي. يا مراحب!

ودخلنا إلى الـــريسبشن حيث جلسنا ثم استأذن ورجع بعد دقيقة حاملًا كوبَيْن من الـــنسكافيه، وقدَّمَ أحدهما لي بيدٍ مرتعشة حتى بدأت تتساقط بعض القطرات خارجةً. أحاول فهمَ ذعرِ عم ذكير، وفي نبرة صديق الأب بدأ:

- بقى كدا يا رؤى كل دا ماتسأليش على عمك!

– اتأخرت فعلًا.

– وعرفتي المكان دا ازاي؟

– عم ضيا اداهولى بـــ200 جنيه.

– هاها انتهازي الراجل دا.

– وانت مش تسأل على بنتك يا عم زكير؟

– عندك حق يا بنتي أنا مقصر في حقك

– ماتجوزتش؟

– قال الله ولا قالك اتجوز بقى واجري ورا كوم لحم وأمهم.

– أهو تلاقي ونس.

(ثم تبسم في وجهي)

– بس احلويتي يا رؤى وبقيتي عروسة، ماتجوزتيش؟

– لسه ربنا ما أرادش.

– إخص عالشباب.. إزاي ساكتين عالحلاوة دي؟

– ربنا يخليك (بخجل).

وبدأنا برشف القليل من الـــنسكافيه حينما بدأتُ حديثي:

– بصراحة يا عم زكير أنا جايالك بخصوص قضية قتل بابا.

وحينها سقط الـــنسكافيه الساخن على يده فوضع الكوب وجرى سريعًا إلى الداخل ليخرج واضعًا كيسًا بلاستيكيًّا من الثلج على يده، ويدُه الأخرى تتحرَّك برفق على الحرق وبتعجُّب..

- عم ذكير أنا وجودي مضايقك؟

وفي تلك الأثناء بدأ أنين عم ذكير دون النظر إليَّ ثم سمعتُ بكاءه..

- عم زكير.. مالك؟ (باستغراب).

- (وبصوت محبوس) إيه اللي جابك بس يا رؤى؟

- عم زكير، أنا آسفة هامشي وابقى اجيلك في وقت تاني.

لم يرد فنهضتُ واتجهتُ إلى الباب وأنا لا أسمع سوى أنينه وفجأة..

- عاش ملعون ومات ملعون!

تيبستُ مكاني لحظات ثم استدرتُ وعدتُ أدراجي وجلستُ أنصتُ باهتمامٍ..

- كان عِنَدِي.. ياما نَصَحُه جدك يبعد عن السكة دي بس.. مفيش فايدة.

لم أقاطعه. فقط أنصتُ باهتمامٍ:

– أبوكي يا رؤى ماكنش صاحبي.. أبوكي كان أخ من بطن تانية. عالحلوة والمرة مع بعض.. عِشْرِة إعدادي وثانوي وجامعة وشغل. فراقه ماكنش سهل بالنسبة لي، بس..

– بس إيه؟

– بس ماحترمهاش وماصدقش وقال تخاريف ودفع التمن غالي.. جدك ياما حاول معاه.. وِدْن من طين وتانية من عجين.. كان حريص إنك ماتعرفيش حاجة.. جاب عربية والشاليه اللي ورثتيه عنه في السخنة.. وطلع طلعة حلوة واحنا شغلانتنا ماتجبش العز دا يا بنتي.. مافيش حلم ليه ماشافش النور.. كان بيدور في قبور ومواقع شيلنا إيدينا عنها ورمينا طوبتها.. في الليل والناس نيام ويطلّع منها الشَهْد..

يخلص في الآثار ويحلم ويلاقي.. سكتْ عليه كتير واديته بدل الإنذار ألف لحد ما عاقبتُه

– هي من دي؟

– اللعنة!

– يعني احنا حياتنا عبارة عن لعنة؟

– اللعنة دي انتقام.

– وليه قاسية كدا؟

– على قد الغلط.

– وإيه الغلط؟

– الخيانة.. خيانة تتي.. اللي كلكو بتتنسبوا ليه.

– وأنا ليه اتاخد بجملة غيري؟ ليه يتحكم عليا بلعنة تلازمني لحد مامو ت؟ ليه أدفع تمن غلطة غيري؟

– انتي بتُبْتَلي.. اللعنة ابتلائك.

– وليه اَبْتَلى؟!

– ثواني..انتي عارفة يعني إيه ابتلاء؟

– يعني مصيبة.

– غلط الابتلاء هو الاختبار.

– وأنا خدت ملحق ونجحت.

ثم ابتسم:

– وهو في حد يقول انا نجحت قبل مالنتيجة تطلع برضو؟

– من غير تفاصيل، أنا اتصرفت فعلًا غلط في اللعنة في الأول

– والنتيجة؟

– أديك شايف جالي أفيزيا وبقيت بتهته.

– ودا البند الأول "اللعنة لا تقتل دون إنذار".

– مظبوط عشان كدا حاولت أستخدمها في الخير.

– وطلع خير؟

– ها!

– قريتي البند الرابع يا رؤى؟

– أه.

– فهمتيه؟

– أيوا.

– لا مافهمتيهوش.."اللعنة تُعْنَى بالأفعال لا النيات" يعني تستحملي نتيجة تصرفك مش نيتك، اللعنة ملهاش دعوة نويتي خير ولا شر.

– يعني انا موتي مقدر من قبل ما أعيش؟

– هاسألك سؤال.. انتي مخيرة ولا مسيرة؟

– ملعونة بنت ملعون.. مسيرة بنت مسير.

– تاني غلطة.

- ازاي؟

- رؤى احنا بنعمل إيه هنا؟

- هنا فين؟

- هنا عالأرض

- برضو مش فاهمة.

- احنا ليه مش في الجنة؟

- قصدك آدم والتفاحة؟

- بالظبط.. سيدنا آدم أما كل التفاحة كان مخير ولا مسير؟

- مخير.

- طب ازاي مخيّر والآيه بتقول: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً" يعني كدا كدا كان نازل.

بدا عليَّ الدهشة ثم أشار إلى الطاولة..

– رؤى ممكن تناوليني الورق الفلوسكاب والقلم اللي هناك.

أحضرتُهم وعدت على الفور. بدأ في رسم دائرة..

– بصي يا رؤى الدايرة دي قدرنا ومعرفتنا، واحنا مخيرين فيها ولينا مطلق الحرية.

ثم رسم دائرة أكبر..

– بره عن الدايرة دي غيب.. مستقبل.. بكره.. باختصار إحنا مخيرين فيما نعلمُه ونعيشُه و... (أكملتُ أنا):

– ومسيرين فيما لا يعلمه إلا الله.

– الله ينور عليكي.

– بس أنا ليه ماعرفش أبعاد تانية غير دايرتي؟

وابتسم وبذكاء استطرد..

– الملاعين يعرفوا (همس بأذني).. ودا ابتلائك.

حيث ضربَ القانون الثاني في رأسي "لا يرى الملعون إلا المستقبل القريب وأصل اللعنة" وحينها بَدَتْ عليَّ منطقية أكبر، فهذا يعني أن بعض الأفعال بيدي لا بيد عمرو.

– وبابا.. ليه ماساعدنيش رغم علمه بالمستقبل؟

- لا انتي تشوفي أبوكي ولا أبوكي يشوف جدك ولا العكس.. دا اللي بيقوله القانون التالت.

لِأَتَذَكَّرَ.. "الملعون لا يرى ملعونًا"!..

- امم طب دا ابويا و جدي وانت.. كنت فين يا عم زكير؟

نهض وأدارَ لي ظهرَهُ و في نبرة ندم وخوف..

- جبان.. خايف.. سلبي.. مستخبي.. شوفت الغلط وسكت.. وحاولت أهرب على قد ما أقدر.

- تهرب من إيه؟!

- أهمهم.. "اللعنة تقتل كل من اقترب وكل من سكت عنها" وأنا أخرس بقالي زمن وبمجيتك النهارده انتي صحتيها عشان تاخد حقها مني.. (يلتفت حوله) حاضرة معانا دلوقت وجاية تاخد أجلي (يتحسس رقبته) أنا كدا في حكم الميت.

- بتقول إيه؟ لازم في حاجة توقف اللعنة لاز...

- "أي محاولة لرفع اللعنة تنتهي بالموت".. أنا مذاكرها أكتر من أي حد. رؤى أنا حابب أعترفلك بحاجة.

-...!

- أنا بسببي أبوكي راح.

- إيه؟!

- كان لازم ما يسمعش كلامه.. آخر يوم لأبوكي نزل يقابلُه ومارجعش.

- يقابل مين؟

- الشيطان!

***

أحسستُ بالخوف والذعر للحظاتٍ بينما راح هو يغوص بأفكاره في شيءٍ ما استغرق ثوانيَ..

- كان يوم ضلمة كحل في شارع مافيهوش صريخ ابن يومين. طلب مني أنزل معاه أصور كل اللي هاشوفه وأيًّا كان اللي هيحصل.. قال: "لا تتحرك ولا ترمش. هتقف على بعد 200 متر وتصور.. الفيديو لا يطلع لشرطة ولا غيره.. في يوم هتحتاج تطلع الفيديو وانت هتعرف امتى اليوم دا" (ثم نظر صوبي) وصدق منير الشواف وأهو جاه اليوم.

دخل لدقائق ورجع نحو باب المترل، وفي يده أسطوانة وورقة عليها رقم هاتفه..

- ماشوفكيش تاني يا رؤى.

- عم زكيــــ..

فتح الباب..

- مع السلامة.

ثم سِرْتُ خطواتٍ ليقطعني صوتُه باكيًا:

- خلّي بالك من نفسك يا رؤى.

اقتربتُ من الباب وأخذتُ الأسطوانة ونزلت الدرج على عَجَلٍ، ثم ركبتُ السيارة وعيني ليست على الطريق، ولكن تلك الأسطوانة التي سجلت آخر أنفاس منير الشوّاف. أنا على بُعد دقائق من سدل ستار حيّر الداخلية والقضاء وسُجِّل ضد مجهول! كيف استطاع أن يحتفظ عم ذكير به كل هذا الوقت وهو يعلم أهميتَه؟ الكثير من علامات الاستفهام أكلتْ وشربتْ على رأسي التي لا تتحمل معدل سرعة السيارة، وطالبت بالإسراع بالفعل وصلْنا. صعدتُ على الفور. فتحتُ اللابتوب وأدخلتُ الأسطوانة ونقرتُ تشغيل حيث ظلام دامس. كاميرا مثبتة بمكان ما على زاوية تبرز شارعًا مهجورًا خاليًا من المارة بدون أنوار مدة دقيقة.. لم يظهر أحد.. مر خمس دقائق.. لا شيء.. وعند الدقيقة 7:55 ظهر أحدُهم يمشي بعيدًا ونظر إلى الكاميرا.. هااه.. و انتظرَ لدقيقة وهو يراقب يمينًا ويسارًا.. حتى استقرَّ تحت عمود نور يتيم، لم أحتج على أية حال لذاك العمود للتعرف إليه، فقد عرفته من مشيته، فذاك الـ"أحدهم" كان أبي.. مختبئًا في معطف أسود ولم يظهر وجهه. لم يمر الكثير حينما اقترب

آخر من أبي، وبعد سلام بارد دار حوار كان من الصعب وليس المستحيل الإنصات إلى مضمونه حيث بدأ الرجل:

- حد شافك؟

- ماكانش زماني هنا وواقف باكلمك.

- ها يا لمض.. ارغي.. جاي في إيه؟

- أنا هابطّل.

- تبطل؟! تبطّل إيه يا روح أمك.. هي مخدرات؟

- أنا عندي بنت عاوز أربيها!

- إنت لو خايف على بنتك بجد مش هتقول كدا.

- هتهددني يعني؟ ومالو أنا مواطن فاسد يا أخي. إنما انت إيه؟ مواطن بشَرطة فضيحتك بجلاجل.

- أاه، خلصانة يعني ومالكش سكة؟

- اللي فاتت كانت الحلقة الأخيرة.

- أه.. مانت كدا بتأذي بنتك يا موني.. يعني لو حصلها حاجة كفى الله الشر هيبقى بسببك.

- لو هوبت ناحية رؤى هاقرّ وأجيب رجلك.

- لا مانت مش هتلحق!

ورجع خطوة وفي لمح البصر أخرجَ مسدسًا كاتمًا لصوت الرصاص، وأطلق النار ثلاثا على رأسه، فخرَّ أبي صريعًا أمام عينَيَّ.

شُلَّ جسمي عن الحركة لثوانٍ وعيناي صوب القاتل الذي راح يُسْرِع الخطواتِ، وباتت ملامحُه تقتربُ أكثر فأكثر حيث وضحَتْ جليًّا... هااااااااا!!.. فارس!

***

عزيزي / قاتل أبي..

"دَعِ القدر يُبدِعُ في تصفية حساباته"، مبدأٌ لن أتّبِعَه بل سأستدعي نفيرَ الشيطان مَحَلَّ الطيبة والبراءة اللتَيْنِ ماتتا وصليتُ عليهما بأربع تكبيرات. يا من صعدَتْ أمجادُك على رؤى رؤى درجةً درجةً، لن أقصفَ عمرَك فجأة، بل أسال الله أن يطيلَه فأتلذذ بتعذيبك كل فمتو من كل ثانية تمر عليك.. انتقامي منك بات قضية لن تسقط بالتقادُم. ستتمنى الموت ولن تجده. وباندفاع فتاة تقودها غريزة الانتقام الأعمى حملتُ الهاتف، وكدتُ أطلب آسرًا حينما تذكرتُ "وصحيح خلّي كل كلامنا عالواتس اب عشان مش ضامن تليفونك" ففتحت الــواتس آب فلم أجدْهُ **online** تركت له تسجيلًا صوتيًا كنوع من رفع مستوى الأهمية آسر كلمني ضروري، فلا تمضي دقائق حتى أسمع رنة الــواتس اب، "تعاليلي المكتب" وعلى وجه السرعة

ارتديتُ ما ارتديتُ واتجهتُ لآسر وفي يدي الأسطوانة. آسر قام أعطى إشارة للجميع بمرور رؤى، ودخلتُ المكتبِ بعد أن أنبأه الجندي بقدومي..

– رؤى خير!

– افتح اللاب.

نظر لحظاتٍ محاولًا استيعاب تلك الحماسة ثم قام بفتحه..

– ها؟

أخرجتُ الأسطوانة من الحقيبة وناولته إياها فنظر إليها مستغربًا ثم ينظر إليّ، ومن دون أي رد يتملقُها ويضعها باللـــاب، ثم يقفز له الفيديو فيشير بالفأرة ناحيتَه ثم ينظر صوبي فأمأت برأسي أي "افتح"، فنقرَ عليه وبدأتْ دقائقُ الفيديو تمرُّ عليه دون مرور بعوضة تكسر سكونَ الشاشة، حتى بدأ يحسُّ بالملل من بعد تشويقٍ، وفي الدقيقة السابعة بالذات..

– أه مش فاهم برضـــــ..

– ششششش (مشيرةً إلى الشاشة).

انتبهَ آسر، وعدّل من جلسته، وقرّبَ الشاشة ليرى أحدهم يمرُّ في الشارع لأُوقِفَ الفيديو حينها..

– أعرّفك.. منير الشواف.

– مش دا يبقى..

– بالظبط.. بابا واللي اتقتل في ظروف غامضة واتقيدت القضية ضد مجهول.

ثم نقرتُ على الفأرة لأستكمل الفيديو مرة أخرى وسط ذهولِ وترقبِ آسر من القادم بالفيديو. يسمعُ الحوار ثم يرى فارسًا

– إيه دا؟!

ثم رجع مرة أخرى وثانية وثالثة..

– جبتي الفيديو دا منين؟

لأحكي له قصة عم ذكير وأبي..

– رؤى انتي متأكدة إن فارس ماكانش وراكي أو حاجة؟

– فارس في الوقت دا كان في الشغل.

– انتي عارفة الفيديو دا ممكن يعمل إيه؟

– إعدام؟

– قتل مع سبق الإصرار.. أجعص محامي مايطلعوش منها.. دا صوت وصورة خلصانة

– بس دا مش كفاية.

- لسه أما يتعرض عالِقيادات هيتوقف عن الخدمة ويتجرد من رتبه ويتمنع من السفر.

"برضو مش كفاية" تَمْتَمْتُ..

- بتقولي حاجة يا رؤى؟

- آسر الكلام دا هيبدأ امتى؟

- حالًا.

ثم طلب رقمًا ما من على الموبيل أكثر من مرة دون إجابة ثم زفر ضيقًا، ورفع الهاتف الأرضي..

- ألو.. رفعت بيه الفناجيلي.. إزاي سعادتك يا فندم؟ حصل كلمتْ حضرتك ومغلق يا فندم.. الله يكون في العون سعادتك.. حضرتك كنت باتكلم بخصوص ظهور أدلة جديدة في قضية مفتش الآثار اللي اسمه منير الشواف.. القضية فات عليها سنتين واتسجلت ضد مجهول سعادتك.. أدلة في منتهى الخطورة يا فندم.. أوامر

معاليك.. في حفظ الله يا فندم. (والتفت إليَّ) بكره بالليل الحفلة هتتذاع لايف في الداخلية. حقك راجع.

– لأ دا حق أبويا.. حقي عارفة هاخده ازاي.

– أفندم! انتي بتفكري ازاي؟

– ولا حاجة.

– رؤى أي تصرف هوجائي هيبوظ كل حاجة.. الـPLAN ماشية مظبوط.

– إن شاء الله، بلغني بالجديد.

– وانتي شرحه، وزي ماتفقنا أهم حاجة ماحدش يحس بحاجة.

– أكيد.

ورحلتُ بخياشيمَ تستنشقُ عَبَقَ النصر في المكان..مرتاحة نفسيًّا وثقتي في آسر لا حدود لها، فالعدو اللدود يتحلى بدوافع الانتقام كافةً على ما يبدو عدا عن كارت أخير في قبضة يدي، سأشحذ به الهمة حال لا قدر الله تخاذله، كارت شيزي الذي لن يرى نورًا طالما تجري الأمور على ما يجب أن تجري عليه. كلّي ثقة بإجراءات آسر فهو أهلٌ لذلك، وأهل مكة أدرى بشعابها. انتابتني حالت نشوة أكبر حينما أدركت أني أنطق الآن كل الحروف بأريحية، وكأن أفيزيا لم تكن. جلستُ في السيارة أتخيلُ مخطط فارس صاحب النفس الطويل. إذًا فارس علم عن أبي واستغلّه أبشعَ استغلال، وحينما قرر منير

التوبة رُفِعَتْ الصحفُ وعاقبَتْه اللعنةُ على طريقتها، ولا يكتفي ثم يعلم عني ويُسَخِّر سيفًا ليقيم معي علاقة فأساعده في البورصة، فأستخدم لعنتي في الشَّرِّ، ثم يموت سيف وفارس على يقين أني سأُهاتفُه، وبالفعل أهاتفُه وأقابِلُه لتبدأ حكايةٌ جديدةٌ. في ظل غياب السيف الذي وضعه في جرابه.. السيناريو المحكم لفارس لم يُنَفَّذْ كما كُتِبَ لظروف مختلفة. نظرًا لما حلَّ براقصته الماريونيت.. أفيزيا.. فيتطلبُ إشراكَ من يفكُّ طلاسم ولوغاريتمات رؤى وهذا كان نزيهًا. أه نزيه.. لماذا لم يُتخلَّص منه؟ امم سؤال غبي، فتريه قد أخبر آسرًا بما حدث، ومن الطبيعي أن يكون تحت نظره، والتخلُّص منه كإطلاقِ رائحة عفنة، ومعدلات ذكاء فارس ليست بتلك السطحية، ولكن السؤال؟ لماذا سيف؟ لماذا لم يبدأ فارس نفسه؟ أها.. "اللعنة لا تقتل دون إنذار" حرص فارس على الظهور جليًا في دور المُخَلِّص.. فرصة التصحيح.. وساعده على ذلك نافِخَا النار.. فرح ونزيه.. يا لسذاجتي!

***

سلالمٌ حلزونيةُ الشكل.. يصعدُها وتصعدُ هي وراءه.. من درجة لدرجة.. يكاد يموت رُعبًا.. وكأنه مغناطيس يجذبها ناحيتَه.. لن تتركه حتى سَحْبِه سحبا لها.. كل درجة تتهاوى بعد أن يصعدها.. يتعرقل ثم ينهض ويستكمل الصعود بأقصى سرعة.. وتلاحقُه اللعنة، وأنا أراقب في خوفٍ.. وصلَ المطارَدُ لأدوار عُليا.. وفجأة حلَّ الصمت على المكان فلا أسمع ركضًا، وبينما أنادي في قبو السلم ولا أسمعُ سوى صدى صوتي.. عم ذكير.. كير.. يـــر.. سكـــون.. وفجأة.. شيءٌ ما يترل من أعلى نقطة في سرعة خرافية وتوقف أمامي مباشرة.. رأسُ عم ذكير وحبلٌ حول رقبتِه..عم ذكير مشنوق!

استيقظتُ مفزوعةً..

وبأنفاس غير منتظمة، أخرجتُ الهاتف وهاتفتُ عم ذكير.. جرس.. لا أحد يرد.. مرة أخرى.. كررتُها مثنى وثلاثا ورباعا.. هرعتُ إلى السيارة وأنا أتصبَّب عرقًا، وفي مخيلتي مشهدٌ تجزعُ له

الأنفاسُ، فأُمُّ القواعد تقول أحلام الملاعين ليست مجرد أحلام. يجبُ ألا يموت ذكير بسببي.. "لا لن تموت".. ومعها كانتْ قدمي اليُمنى تدهسُ دواسة البنزين دهسًا. وصلتُ لمنزل ذكير وطَرَقتُ الباب كمن لم يطرق من قبل.. "عم زكير".. "عم زكيــــر".. ليفتح عم ذكير مرتديًا بيجامة، وعيناه سكنَهما قذى أحلى نومَةٍ وبفزعٍ:

– خير يا رؤى؟!

–...!

– حاجة حصلت؟

– إنت.. إنت كويس؟

– كويس؟ (ينظر لساعة الحائط) رؤى انتي عارفة الساعة كام؟

ولكم وددتُ في تلك اللحظة بالذات أن أهوي في بالوعة جواتيمالا..

– آسفة يا عم زكير.

عدتُ إلى السيارة.. ما زال حيًّا! كيف؟ هل توقفَتِ اللعنة! طيلة حياتي يُعتبر هذا أول حلم لم يتحقق. إحساسان متناقضان.. فرحةٌ بأن عم ذكير ما زال حيًّا، وآخر باحثٌ عن منطقية ما حدث، وكأن أحلامي أصلًا من المنطق.. أعيش عالمًا موازيًا وحدي دُونًا عن العالم.. ملعونة بأمر أحد الأغبياء من عشرات ومئات القرون. عدتُ للمنزل،

وظلت عيناي مفتوحتين أفكرُ فيما حدث تلك الليلة مع ذكير حتى غلبني النوم.

استيقظتُ بعد شبْهِ نومة، وفي بالي ما يزال ذكير وموقف الأمسِ السخيف، ثم فكرتُ في تجهيز فطورٍ والذهابِ لصديق والدي الأوحد الذي قرر أن يعيش منعزلًا، وتناولِه معًا. وبالفعل أعددتُه ونزلتُ السيارةَ حينما غرَّد عصفور الــواتس اب. فرح.. فتحتُ الرسالة..

"3 أيام من غير ما أسمع صوتك، ما تحن علينا يا تقيل" ورددتُ في الحال كي لا تشتَمَّ رائحةً ما: "بارسم بس رسمة واكلة وقتي كله يا فرووحة، هاكلمك".

أاه.. فرح.. العميل المزدوج.. أغلقتْ صنابيرَ القاهرة، وشَرِبَتْ نهرَ النفاق وحدَها.. لا أعلم إن كنتُ سأواجهها يومًا، ولكن ما أعلمُه..إن كنتُ أنا أدفع ثمن خيانة تتي أبي الخونة فأنت أولى بتلك الضريبة.. فنحن من سَمَّوْنا بالتوأم على مدار كل المراحل الابتدائية.. الإعدادية.. الثانوية.. وهنا تذكرتُ هذا الموقف..

– رؤى هاتي سلم المطبخ نترل الكريستال من النجفة.

– ونعمله غوايش؟

– أنا هاعمله حلقان.

– ودنك هتحمر

ثم تُفَاجِئُنا أمي "إيه دا يا بنات؟" لتسرع فرح: "رؤى يا طنط قالتلي هاتِ يا فرح سلم المطبخ نتزل الكريستال من النجفة ونعمله غوايش وعملتلي أنا حلق عشان وِداني تحمر إهئ إهئ".

لتمنعني أمي من رحلة أكوا بارك. طالما كانت بذرة الخيانة تجري بوريد فرح صحبة كرات الدم.. عزيزتي فرح.. رغم كل هذا.. صعبٌ فراقُك يا بنت الكلب. وصلتُ الدقي.. الشارع الذي يقطُنُه عم ذكير.. صوان أمام العمارة! حاولتُ الصعود لتمنعني الشرطة، فأسأل عن المُتوفّى ويردُّ أحدهم: "الراجل اللي في التاني لقوه مشنوق"!

***

دراما متلاحقة فاقتْ سرعةَ الضوء. لن تكونَ وفاةُ من كنتُ السببَ في وفاتِه آخرَها. ظهورُ الملعونة بنت الملاعين هي من عجَّل بوفاته، وها هي أحلامي تبعثُ برسالة طمأنينة أن كل شيءٍ يجري على ما يُرام، ولا يوجد داعٍ للقلق. تحولتُ إلى كائنٍ درامي يسير على أربع، ويتغذى على الأحزان من حوله. وفي تلك اللحظة أرسل لي آسر واتس آب "رؤى تعاليلي حالًا"، وعلى وجه السرعة ذهبتُ إلى مكتب آسر الذي وضع كلتا يدَيْه حول رأسه، وبدا عليه الخزي واللاشعور وهو يشاهد شيئًا ما على اللابتوب، ومن دون كلام أشار إليَّ بالاقتراب فإذا بفيديو.. يا إلهي.. شيري وسيف! كيف جئتَ به؟ وبصوتٍ متحشرجٍ:

– دا الفيديو اللي شفتيه يا رؤى؟

موقفٌ صعبٌ لا أُحْسَدُ عليه، ولا أعرف ماذا أقول، حينها كرَّر بنبرة أعلى:

– هو دا أم الفيديو اللي شفتيه؟

ابتلعتُ ريقي وأمأتُ برأسي إثباتًا..

– وماقولتليش ليه يا رؤى؟

– طب كنت أجيبهالك إزاي؟

– انتي عارفة مين شاف الفيديو دا يا رؤى؟

– أنا بس، هو جالك ازاي؟

– تخيلي!

– فارس؟

– شم خبر في المديرية إني هافتح القضية الفولانية وبيقايضني الفضيحة بفتح القضية، الدليل اللي معايا قصاد الفيديو اللي معاه

– وهتعمل إيه؟!

ضرب بيده المكتب فسقط كوب القهوة وبانفعالٍ:

– ابن الكلب.. اختي؟!.. ورحمة أمي ما هاخلي فيه حتة.. وربنا ليتشوي فوق و تحت.. بس ازاي؟ لاوي دراعي وكاسر عيني..

باعتلي رسالة بيقولي "تخيل بقى لو كنت مباحث آداب في دايرة أختك"، يابن الكاااااااااالب.

– وشيري فين دلوقتي؟

– في المستشفى.

– مستشفى؟!

– ضلوعها اتكسرت وواخدة غرز في وشها.

– انت اتجننت؟

– كويس إنها لسه عايشة.

وفجأة حل السكون، ولاحظت رعشة خفيفة في يده ثم قطعتُه:

– بتفكر في إيه؟

– مش قادر أفكر (شاردًا) لو مكاني تعملي إيه؟

– هافكر.

أخذ نفسًا عميقًا، ثم أرجعَ ظهره على الكرسي "ليه بس يا رب؟" واضعًا يده فوق رأسه..

- أول مرة اللي لازم يحصل مش هو اللي أنا عاوزه.

- احسبها يا آسر وماتتسرعش، أنا هانزل دلوقتي.

خرجتُ وأغلقتُ الباب ورائي، وأنا أجر ذيول الخيبة جرًّا. ليزيد ما حدث من كآبتي ومأساتي. رجعتُ البيت ورميتُ نفسي على سريري. لا طريق للهروب مِمّا أنا فيه. لا أعلم ما ينوي آسر فعله، ولكني رفعتُ راية اللاعودة. الخلاص من فارس بات مطلبًا شعبيًّا عند فكري وقناعاتي، وإلا الاحتشاد في تلابيب عقلي ليلًا ونهارًا، وإضرابٌ كلِّيٌّ عن الحركة والتفكير رافعين لافتات "ارحل" وها أنا لبيتُ النداء. ذهبتُ إلى المرآة وأحضرتُ مقصًّا وبنظرة حادة كي لا يستعطفني قصصتُ شعري دفعة واحدة.. إن خفتَ من خسارة شيءٍ ما فاخسرْه فلا تخَافُ ثانية.. وكان هذا بثًّا تجريبيًّا لما أنوي فعله.. لوك الــ**à la garcon** الجديد سيناسب خططَ الانتقام تمامًا. يجب أولًا

التأكد أن فارسًا لا يمتلك مثل حبةٍ من شكٍّ أني هاتفتُ أو أقابل آسرًا تمامًا. ومن اليوم لن يصبح الصراع بينهما هما الاثنين. عزيزي فارس أنت لاعبٌ جيدٌ.. مرحبًا، أنا مدربُك الجديد. أخذتُ السيارة وانطلقتُ للزمالك، ولكن قبلها مررت بمحل إكسسوارات للكومبيوتر والموبايل مشهور بالمهندسين لعمل ما يلزم عملُه، ثم استكملتُ طريقي تحت بيتِ فارس مباشرة طلبتُه.. جرس..

– آلو.

– إهئ إهئ.

– رؤى مالك؟!

– فارس أنا تحت البيت.

– اطلعيلي طيب حالًا.

– إهئ أوكي.

أخذتُ المصعد لأجد فارسًا منتظرني على عتبة الباب..

– إيه اللي حصل؟

– فارس أنا اهنت واهزأت، إهئ إهئ

– مالك طيب حصل إيه؟

– آسر

– ابن الـــ.. مالو؟

– كلمني وقالي لازم تجيلي المكتب.. ليه؟ هتعرفي أما تيجي.

– وبعدين؟

– سألني أسئلة بخصوص بابا الله يرحمه.

لم يبدُ عليه أي توتر..

– ها؟

– ضغط عليا عشان أقوله أي حاجة؟

– وقولتيله إيه؟

– قولتله اللي أعرفه.

– اللي هو إيه؟ (بسرعة)

– كان لابس إيه؟ كان رايح فين؟ مين أصحابه؟

– ها!

– جاوبت.

– جاوبتي قولتي إيه؟

– (وباستنكار) إنت ليه مهتم أوي كدا؟

– (بثقة متناهية) أنا ظابط على فكرة.

– ودا مش تحقيق.

– عندك حق آسف.. ها

– ها إيه؟ خلاص.

– خلاص؟!

– أه خلاص، مستغرب ليه؟!

– أصلي عارف آسر بيلف ومابيجبش سكة.

– وهو أنا اللي قتلته يعني؟!

– ماسألكيش بتشتبهي في مين؟

– طبعًا سألني، فارس والنبي ما عاوزة أفتكر.

– أيوا بس..

– فارس لو سمحت أنا جاية بأشتكيلك ماتكمّلش عليا.

- خلاص، خلاص حسابي معاه.

- أنا مش عاوزة أرجع البيت.

- تحبي نخرج؟

- بليز.

- 5 دقايق بالظبط أنط في اللي قدامي ونخرج خروجة تنسيكي كل دا.

- هاستناك.

- خليني بس أعمل مكالمة الأول.

وما إن فتح القفلَ خطرتْ لي فكرة، خطفتُ منه الموبايل في الحال، ووضعتُه على المنضدة، ثم دفعتُه بلطف من ظهره ناحية غرف النوم..

- دا يستنى أنا ماستناش.. يللاااا.

ودخل فارس ثم راقبتُه حتى أغلق باب غرفته. رجعتُ بسرعة للهاتف، وبحثتُ عن رقم سيف..وجدتُه وسجلتُه ثم ذهبتُ لاستكمال الخطة. قلبتُ الفازة.. خاوية! اللعنة! غيّر مكانها، هل من باب الاحتياط أو أنه أحس بأني كشفته؟ بالتأكيد لا لأنه هو من أرسل الفيديو. إذًا أين؟ نظرتُ فوقَ وأعلى وتحتَ السجاد ورُحْتُ أتحسس المشارفَ، ورف الكتب والـــبنبونيره. أين تفتشين أيتها الغبية؟ فاتت

حوالي دقيقتين وفارس على وشك الخروج. لِمَ لا تكون في الـــلاب نفسه؟ ها هي الحقيبة أخرجتُه لأرى الفتحة دونها.. أووف. رجعتُه مكانه وجلستُ خذلًا وانكسارًا.. لا فائدة.. ثم رفعتُ عيني ليلفتَ نظري جراب السيف. مهلًا.. هل هو متحرك؟ خلخلتُه فإذا هو غير ثابت! فككتُه.. لأجدها هناك.. وأخيرًا.. لم آخذها بل بدلتُها بأخرى شبيهتُها كلفتني الكثير لضآلة حجمها وندرتها في السوق. التففتُ لأجد فارسًا أمامي مباشرةً!

***

- بتعملي إيه يا رؤى؟

- الجراب دا فكرني بـــ.. (حاولت تمثيل بكائي).

- الله يرحمه، طب إيه هنقلبها دراما؟ مش يللا بينا.

- يللا.

ومشينا نحو الباب، وعند المصعد قال فارس:

- نسيت حاجة مهمة، ثانية واحدة.

- بسرعة.

- علطول.

وبالفعل راح فارس ورجع وابتسامة الاطمئنان "أن كلًّا على ما يرام" أكلتْ وجهَهُ. نزلنا للسيارة وبدأتُ أنا:

- كنت واحشني على فكرة وعاوزة أشوفك بس زعلانة منك.

- أموّت نفسي حالًا.

- عشان ماخدتش بالك من اللوك.

- أنا باعشق الـ **à la garçon** انتي فاشونيستا أصلًا يا رؤى وكلك حياة.

- هاها.

ثم رنَّ منبه الهاتف الذي ضبطَته بالمصعد وخلسةً أغلقتُه ووضعتُه على أذني..

- ألو.. جدو مالك.. ألو.. ألو.. طب خليك في البيت أنا جاية حالًا

ووضعتُه سريعًا في الحقيبة..

- جدو مالو؟

- ضيق تنفس شديد، فارس لازم نرجع حالًا.

- طبعًا انتي بتقولي إيه؟

- معلش يا فارس آسفة.

- انتي عبيطة؟ نطمن على جدو.

وصلنا البيت سريعًا وتوجَّل فارس لأمنعه..

– لا أنت رايح فين؟

– هاطمن طبعًا معاكي.

– لا، فارس ماينفعش أصلًا تخش.. روح انت.

– طمنيني يا روحي.

"روحك تودُّ لو تقبضُ روحَك يا روحي".. قلتُها داخلي..

– حاضر، سلام يا فارس.

– باي يا فرح!

***

.. فرح !!

تصنّمتْ قدمي طواعيةً ولكني دفعتُها دفعًا للأمام، وكذلك كبحتُ تروس رأسي عن الالتفات عنوةً، فآخر ما أريده الآن مثيرٌ جديد. استكملتُ السير وكأني لم أستمع لما قاله ذاك الـــ.... كيف توصفك القواميس؟ صعدتُ وبعثتُ رسالة لآسر في الحال..

– مفاجأة.

seen

–؟!

– سؤال الأول.

– اسألي.

– هو احنا متوقّعين كام نسخة للفيديو اللي مع فارس.

– غالبًا اتنين.

– اللي همّا؟

– الميل الوهمي اللي بعت منه ودا مسحه أكيد والتاني معاه.

– كان معاه.

– ها؟!

أخذتُ كاميرا الموبيل وصورتُ الذاكرةَ وأرسلت لآسر:

– طب ما كدا هيعرف

ثم صورت له غلاف الشبيهة..

– املي بنود عقدك عشان تشتغلي معانا، ما يجيبها إلا نسوانها. خلاص يا رؤى الباقي عليا. هو رِيسك بس هاخده.

– بس في حاجة.

– إن فارس ممكن يعرف إن الـUSB اتبدلت؟ انتي معرفتيش؟

–!

– بلطجية اقتحموا شقة ضابط مشهور بالزمالك وعبثوا بمحتوياتها.

– هو دا.

– سؤال يا رؤى ليه ماستنتيش الكارما تاخدلك حقك؟

- الكارما الوحيدة اللي أعرفها هتبقى بنتي لو هتبقى بنت.

ما إن قرأتُها حتى امتلكتني سعادة بالغة.

***

بعد أسبوع..

رسالة واتس آب..

إيقاف النقيب / فارس الدميري عن العمل لحين الانتهاء من التحقيق.

***

بعد أسبوعين

الزمالك – منزل فارس

ضربتُ الجرس أكثر من مرة لأسمعَ

– مين؟

– افتح يا فارس.

انتظرتُ نصف دقيقة ليفتح البابُ فتحة صغيرة. دفعتُ الباب ودخلتُ..

– باكلمك بقالي اسبوعين مابترد...!

فارس.. على.. كرسي بعجل!

– فارس حصل إيه؟

بدأ بالبكاء

– (بانفعال) انتي غبية يعني مش شايفة حصل إيه؟

– أنا آسفة.. أنا آسفة.

واستطردتُ بينما هو في محاولة مستميتة للتماسُك.

– فارس إيه اللي حصل؟

– آسر عمل مؤامرة عليا في الشغل.. لبسوني قضية قتل..اتوقفت عن العمل لحين انتهاء التحقيق.

– طب خير أكيد المحامي..

ليقطعني:

– كلمني من أسبوع وقالّي كل الأدلةَ ضدك، ونسبة خروجك من القضية شبه معدومة، وربنا معاك بعدها.. رجليا ماشالتنيش.

غمرني إحساسٌ نادرًا ما أحسستُ به.. الشماتة.. بصراحة.. إحساس في غاية الروعة، ولكن لم يشفِ غليلي بعد. لمحتُ مسدسًا على المنضدة! أليس من المفترض أن يكون جُرِّدَ من سلاحه؟ ليبرر هو:

– سلاح قديم مترخص ماحدش يعرف عنه حاجة.

– فيه ذخيرة؟

– مليانة.. ليه؟

– الطلق مكانه مش في سلاحك.

- ييجي قدامي وماخليش أجدع حانوتي يتلايم على جثته.

ثم احتضني فجأة باكيًا ورأسه القذر على بطني..

- أنا ماليش غيرك يا رؤى.

لأزيحه بلطف..

- وأنا جايالك عشان كدا.

فانتبهَ..

– ها؟

– فارس أنا حلمت حلم وحش.

ثم نظرَ بسخرية إلى المقعد أي "أسوأ مما أنا عليه؟" لأستكمل:

– فارس انت هتموت كمان 24 ساعة

احتبسَتْ أنفاسُه فجأة وضربَ الصفارُ رأسه..

– الساعه 12:00 بالدقيقة بكره هيبجي، ومن هنا لحد الـ24 ساعة دول هيبعتلك تهديدات من رقم غريب، اقفل موبايلك عشان متتهزش. وأول ما تسمع الجرس (ناولته المسدس) الباب دا حاميك.. إوعى تفتح.

– مين؟

أخذتُ هاتفَه أولًا وأغلقتُه..

- في غيره؟ آسر.

ابتلع ريقَه وبنبرةٍ يائسةٍ لاسترجاع ثقة فارس الدميري:

- تعرفي إن حتى لو بترنا التعبان راسه ممكن تلدغ لحد نص ساعة من بعد بترها.

- لأ، عارفة إن عين النسر راصدة التعبان وسايباه ياكل عيش عشان هي صيدة.

ثم استرجعتُ نبرة رؤى الساذجة..

- طول عمرك نسر يا فارس.. ماتنساش..12 بالدقيقة.. فرّغ سلاحك.

وقبلتُه على خده..

- طمني عليك.

خرجتُ ثم أخرجتُ هاتفًا جديدًا، وأرسلتُ رسالةً:

"قابلني بكرة في شقة الزمالك الساعة 12 بالدقيقة. أنا قافل الموبايل.. 12 بالدقيقة"

ثم أخرجتُ الشريحةَ وقداحةً وأحرقتُها، ثم اتجهتُ لمنزل فرح.. يا رب ساعدني. وصلتُ وطرقتُ الباب لتفتح فرح..

- رؤى الكلبة

سحبتني للداخل فأخذتُ يدها وجذبتُها بقوة نحوي، ثم سألتُ بعينين وملامح صارمة ونبرة جازمة:

- ليه؟

فهمتِ النظرةَ، ولكنها احتاجتْ لتستجمعَ قوى المواجهة، ثم سكونٌ كسرَتْه بعد عشرات الثواني..

- ليه؟ عشان طول عمرك أحسن مني.. عشان الأولى في الفصل.. عشان باعمل البِدَع طول عمري عشان أعجب وانتي اللي بياخدوا بالهم منك.. عاوزين نتعرف على رؤى.. ماما: خليكي زي رؤى.. بابا: إيه الألفاظ دي انتي ازاي صاحبة رؤى.. على إيه ياختي؟ فيكي إيه مش عندي؟ أنا مش عارفة.. عملت البِدَع وانتي بلا أي شيء دايمًا سابقة وبأميال.

وما إن سكتَتْ حتى وجدتَ يدي صفعت خدها الأيسر وأتممتُ:

- المقارنة خرجت إبليس من الجنة يا غبية.. بحبك.

ورحلتُ.

***

بعد **24** ساعة..

الساعة **11:59**

سكـــــون **12:00**.. صوتُ طرقِ أقدامٍ.. ضرب الأدرينالين كل جسمه.. ملصّ شفتيه.. عمّر مسدسه (تررن.. تررن) ومن خلف الباب مباشرة..

– عاوز إيه يابن الكاااااااااااااالب؟

الطلقة الأولى.. الثانية.. الثالثة.. الرابعة.. الخامسة.

سكــــــون.. دخلتِ الدِّماء داخل المنزل.. دفعتْ يداه الكرسي للأمام.. فتحَ الباب ليجدَ.. سيفًا.. غرقَ في دمائه.. خَرَّ صريعًا.. وقعَ من على الكرسي..

– سيف.. سيف.. رُد عليا يا سيف.

أخذه في حضنه بذراع، و بالأخرى سحبَ للمسدس، صوّب على رأسه، وبيدٍ مرتعشةٍ فَجَّرَ دماغَه.

لم أستيقظ..

فقط ابتسمتُ واستكملتُ نومي. أاه.. لم أستعذ من الشيطان، فذاك للكوابيس، وتلك رؤًى.

***

2025

مدينة السادس من أكتوبر

منزل اللواء / آسر

"لم أستيقظ فقط ابتسمتُ، واستكملتُ نومي. أاه.. لم أستعذ من الشيطان فذاك للكوابيس، وتلك رؤًى."

وما إن أغلقتُ مذكرات أمي، فإذا بأبي الذي بدا عليه الصدمة..

– كارما، إنتي فين؟ الفطار جا.. هاااا!

– مامي وحشاني أوي يا بابي.

وتبدأ الحكاية..

شكر خاص

لصديقيّ العزيزين:

المخرج / محمد حسن

و

المبدع نبيل لاشين

كما أتوجه بالشكر لكل من..

أ.د محسن نجم (دكتور في التاريخ المصري القديم و حضارات الشرق الأدنى)

أ. ليلى نصر (مدير مركز إنجاز للتخاطب و التدريب)

أدهم زيدان (ناقد و محاضر جامعي)

سلمى الورداني (مدقق لغوي)

شيرين زكي (باحثة في تاريخ الفنون ما قبل التاريخ)

رضا الجزار

أمنية الشهاوي



أفيزيا

دائما ما يعشق الرسام النظر من النقطة الأعلى حيث التفاصيل. الوقوف بالأعلى هي فرصة أكبر للحكم على الصورة بحيادية كاملة. ولوهلة تقرر أن تقطع تذكرة ذهاب وعودة إلى عقول المارة. فيما يصنعون؟ فيما يجيئون وأين يقصدون؟ المفاجأة أني اكتشفت أن جميعنا مصابو أفيزيا !



خالد زيدان ..

محاضر جامعي مصري

ولد بالقاهره عام ١٩٨٨

تخرج في كلية الآداب قسم اللغه

الإنجليزيه عام ٢٠٠٨

تعتبر أفيزيا أولى رواياته.





دار اكتب 

للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية - القاهرة - مصر

E-mail : daroktob1@yahoo.com

01144552557